الفصل الثاني: أسس النظام السياسي في الإسلام وحرياته السياسية

تمهيد:

لقد سعدت البشرية عندما حكم الإسلام وطُبِّقَ واقعاً عملياً في حياة الناس، فوصلت الأمة الإسلامية إلى القمة السامقة والمكانة المرموقة[1]، وعاشت حياة ملؤها الحب والعدل والإخاء، إلاَّ أنها أصابها الضنك والضياع والتشرذم عندما تمَّ إقصاء الإسلام عن دفة القيادة السياسية، وتم الحكم بمناهج وضعية بشرية ما أنزل الله بها من سلطان، ولا تزال تعاني إلى اليوم بسبب غياب منهج الله، فبعد أن كانت لها السيادة والريادة والقيادة؛ وصلت الأمة إلى منحدر خطير لم يسبق أن وصلت إليه.

فمن ينظر إلى أحوال المسلمين اليوم يجد فجوة كبيرة في واقع المسلمين وبين أحكام الإسلام فيما يتعلق بقاداتهم والمسؤوليات المنَاطَة بهم فهم يعتبرون أن سلطة القائد أو الحاكم مطلقة لا يقيدها قيد، إلاَّ أنه وكما سيظهر لنا من أحكام الإسلام فإنها سلطة مقيدة بأحكام وتشريعات تُلْزِمُ القائم عليها بتطبيقها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- الأشرم، طارق حسن سالم. 1430 هـ- 2009. *الخلافة مُعَوِّقاتها وسُبُل إعادتها*. (رسالة ماجستير منشورة في العقيدة والمذاهب المعاصرة). كلية أصول الدين. الجامعة الإسلاميّة: غزة. ص: 14.

وفي ظِل هذا الجهل حول شمول الإسلام لنظام سياسي متكامل انتكست أحوال الأمة وأوضاعها الأمر الذي أدى ببعض المسلمين إلى مطالبة دول الغرب بحل مشكلاتهم مع قادتهم عن طريق الإحتلال، وأحداث العراق الأخيرة شاهدة على ذلك[1].

ومع غياب الحكم السياسي الإسلامي بمفهومه الصحيح "لاسيما وقد مرت فترات من تاريخ المسلمين أساء بعض القادة تطبيق نظام الحكم الإسلامي بصورةٍ واضحة"[2]، وفي ظل تردي أوضاع المسلمين وتعدد دويلاتهم القابعة هنا وهناك وفي ظل محاولات تغييب الأمة الإسلامية ومجتمعاتها عن جوهر الإسلام، وُجِّهَ للإسلام اتهامات حول قصوره في تحديد وظائف القائد ومسؤولياته مقارنةً بالأنظمة السياسية الوضعية وغيرها.

وجدتُ من الضرورة بمكان تخصيص هذا الفصل من الدراسة لتوضيح أهم ما تناوله الإسلام في الجانب السياسي، وذلك تأكيداً لصلاحية الشريعة الإسلامية في شتَّى مناحي الحياة، وفي كل زمان ومكان، وردّاً على كل من يشكك في صلاحيتها خاصةً فيما يتعلق بالجانب السياسي وذلك من خلال توضيح صورة النظام السياسي الإسلامي، و إبراز أهم الخصائص والأسس التي بُنِيَ عليها هذا النظام السياسي، إضافةً لأهم حرياته السياسية، مستشهداً الباحث في ذلك بما امكن بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

1- حميدان، غسَّان عبد الحفيظ محمد. 1424هـ - 2003 م. *مسؤولية رئيس الدولة عن تصرفاته*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه والتشريع). جامعة النجاح الوطنية: نابلس. ص: 17.

2- طعيمة، صابر. 2005. الدولة في الإسلام. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص: 213.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المبحث الأول: أسس النظام السياسي في الإسلام وأهم خصائصه

جاءت الشريعة الاسلامية بنظام سياسي متكامل، يتميز عن غيره من الأنظمة التي وضعها البشر بجملة من الأسس والخصائص التي جعلت منه النظام الأوحد والأصلح، لكل زمان ومكان، ومن هنا جاء هذا المبحث ليتناول بالدراسة والتحليل ماهية النظام السياسي، وأهم الأسس والخصائص التي يتميز بها النظام السياسي الإسلامي.

المطلب الأول: ماهية النظام السياسي

للحديث عن أي موضوع ودراسته دراسة شاملة يجب الإحاطة بالمفاهيم الأساسية المكَّونة له حتى تتم دراسته بصورة دقيقة وهو ما سنحاول التطرق إليه في هذا المطلب الذي خُصِّصَ لتوضيح ماهية النظام السياسي ومن ثَمَّ دراسة أُسُسِ النظام السياسي من واقع السياسة الشرعية التي جاء ت بها الشريعة الإسلامية وإبراز أهم خصائصه.

وبما أنَّ النظام السياسي مركب يتكون من كلمتين هما: (النظام والسياسي)، فمن البديهي أن تكون أولى الخطوات هي البحث في معاجم اللغوية، لنقف منها على مدلول الاصطلاح أو على الأقل نسترشد بها لنصل إلى المفهوم الدقيق، إذ يعتبر المعنى اللغوي والاصطلاحي من أهم المراحل المنهجية المتبعة لإعطاء مفهوم دقيق لأي موضوع، ومنطقياً لابد من اللجوء أولاً إلى إبراز المعنى اللغوي قبل اللجوء إلى ذوي الاختصاص لتحديد المعنى الاصطلاحي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أولاً: التعريف اللغوي للنظام السياسي

أ- التعريف اللغوي لكلمة النظام

جاء في معاجم اللغة أن كلمة نظام من: ن. ظ. م (نَظَمَ) اللؤلؤ جمعه في السلك، وبابه ضرب و(نظَّمه تنظيماً) مثله ومنه (نظم) الشعر و(نظَّره) و(النظام) الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ و(نظم) من اللؤلؤ وهو في الأصل مصدر و(الأنظام) الأتساق[1] لتأليفه كلاماً موزوناً ومقفى، والشيء إلى الشيء: ضمه وألفه، والأمر: استقام[2].

كذلك تعد كلمة نظام من الناحية اللغوية الترجمة العربية لكلمة (order) الإنجليزية المشتقة من الكلمة اللاتينية (ordo) بمعنى خط مستقيم أو نظام وتأتي أيضاً بمعنى الترتيب المنظم والمتواتر وهي السلطة أو القوة التي يتم بموجبها تطبيق وفرض أحكام بعينها، كما أنها تُعَبِّرْ عن الدرجة أو الطبقة أو الرتبة والنوع والطراز وهي أيضاً مرادفة لكلمة The erder of Na - ture كما في عبارة The order of things أو method system بمعنى نظام الطبيعة أو سُنُنْ، فالكلمة من ثم تشير إلى مجموعة من القوانين والمفاهيم والسنن التي تتسم بقدر معقول من الثبات عَبر مرحلة زمنية طويلة نسبياً[3].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. 1988. *مختار الصحاح*. بيروت: مكتبة الهلال. ص: 267.

2- لويس. 1988. *المنجد في اللغة والإعلام*. بيروت: دار المشرق. ص: 818.

3- المسيري، عبد الوهاب. 1992. *"النظام العالمي الجديد: رؤية معرفية"*. مجلة قضايا دولية. العدد 256. ص: 17.

وقد لخص أحد الباحثين المعاصرين مفهوم النظام في اللغة، فقال: "هو الشيء المستقيم على نهج معين، فإن كان لؤلؤاً في خيط فهو "عقد"، وإن كان جماعة من البشر فهي مجموعة تعتنق منهجاً معيناً وموحداً ينتظمهم جمعياً، كما لو كانوا حبات في خيطٍ واحد"[1].

من التعريفات اللغوية السابقة نجد أن كلمة "نظام" تطلق على كل ما يجمع ويؤلف من أشياء مادية أو معنوية إذا كان هذا الجمع مترابطاً مرتباً ومتناسقاً.

كما يتبين أيضاً أن لفظ (النظام) يُطْلَق على الأشياء المضموم بعضها إلى بعض، كما يطلق على الشيء الجامع لتلك الأشياء؛ على أنْ يُرَاعى في ذلك الضم: الترابط الذي ليس فيه تنافر، والاستقامة التي لا يصحبها عِوَجٌ، والاطراد الذي لا يعتريه خُلْف، وبذلك يمكننا القول بأن النظام: هو مجموع الأشياء المترابطة المتناسقة المتآلفة التي يكون لها ثبات واطراد.

أما اصطلاحاً فإن كلمة نظام تعني وضع قواعد أو قانون معين للأشياء لتنظيم العلاقات بينها وفقاً لمعايير أو قيم معينة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- أبوراس، محمد الشافعي. ب ت. *نظم الحكم المعاصرة :دراسة في أصول النظم السياسية*. ط30. القاهرة: عالم الكتب. ص: 9.

ب- التعريف اللغوي لكلمة سِيَاسَة

السِيَاسَةُ - بالكسر- **مصدر سَاسَ يسوس الأمر سياسة:** إذا قام به؛ وهي القيام على الشيء بما يصلحه؛ وسَوَّسَهُ القوم: إذ جعلوه يسوسهم، ويقال سوس فلان أمراً لفلان أي كُلِّفَ سياسته[1].

والسِيَاسَة كذلك: بمعنى الأمر والنهي، ومنه قولهم : ساست الرعية سياسة، إذا أمرتها ونهيتها؛ وهي بمعنى التأديب والتجربة، يقال فلان مجرب، قد ساس وسِيسَ عليه، أي:أدب وتأدب[2].

والسِيَاسَة: فعل السائس الذي يسوس الدواب سياسة، أي يقوم على أمرها ويتولى ترويضها، فالوالي يسوس رعيته ومنها (ساس) الوالي الرعية (**يسوسها**) أي يقوم على أمرها ويُدّبِّر شؤونها[3].

وفي الحديث الشريف: "**كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَسُوسُهُمْ أَنْبِيَاؤُهُمْ**"[4] أي يتولى أمورهم.

وجميع هذه المعاني في أصل الوضع اللغوي تدور حول تدبير الأمر والقيام بإصلاحه؛ والقائم بذلك سُمِّيَ سائساً، والجمع ساسة وسواس[1].

1- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم.1414هـ – 1996م. *لسان العرب*. ج 6. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ص: 429.

2- الفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر. 1995م. *القاموس المحيط*. بيروت: دار الفكر. ص: 496.

3- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.1414هـ - 1994م. *لسان العرب*. ط3.مج 6. بيروت: دار صادر. ص: 108.

4- رواه ابن ماجه. السنن. *كتاب الجهاد. باب الوفاء بالبيعة* 958/2. ح: 2871.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فهذا أصل وضع السياسة في اللغة العربية، ثم وُسِمَتْ بأنها: القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وتنظيم الأموال.

وفي اللغة اليونانية القديمة تعني كلمة السياسة (Politice): المدينة التي كانت تثير في الأذهان أمر تنظيم العلاقات بين الناس حكاماً ومحكومين تنظيماً يحقِّقْ مصلحة الجماعة في ظِلْ دولة المدينة القديمة[2]، وتعني كذلك فن إدارة الدولة وتوجيه علاقاتها مع باقي الدول.

وفي اللغة الإنجليزية فإن كلمة السياسة (Policy) التي تعني السياسة وهي تتكون من مقطعين هما: (Polic) وتعني الحاضرة أو البلدة أو المنطقة، (City) أي اجتماع المواطنين الذين يكونون المدينة، وترجمتها المدينة – الدولة، وقد عبَّرت الكلمة عن معانٍ متعددة منها: البلدة، المقاطعة، الدولة، الدستور، النظام السياسي، الجمهورية، المواطنة، الأمور السياسية[3].

وقد استخدمت كلمات عديدة مشتقة منها مثل (Politeia) أي الدولة، الدستور، النظام السياسي، الجمهورية، وكلمة بوليتيكيا بمعنى الأمور السياسية وكذلك المدنية، وكلمة (Policien) لرجل الدولة والمواطن وكلمة (Police) بمعنى شكل الحكومة القائمة[4].

إذن توجد صلة كبيرة بين السياسة والسلطة فالسياسة تتضمن استخدام السلطة من قبل القادة ليتمكنوا من قيادة المحكومين تحقيقاً للمصلحة العامة، وإذا كان كثيراً من القادة

1- مجموعة كتَّاب. 1392هـ - 1972م. *المعجم الوسيط*. ط2. ص: 462.

2- الحلو، ماجد راغب. 2005. *النظم السياسية والقانون الدستوري*. الإسكندرية: منشأة المعارف. ص: 2.

3- الحمداني، قحطان أحمد سليمان. 2004. *الأساس في العلوم السياسية*. عمَّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ص: 21.

4- المرجع السابق. ص: 22.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

والحكَّام يستخدمون أسلوب الإكراه والجبر للقيام بمهامهم، فإن أسلوب التشاور والحوار والإقناع كثيراً ما ينبع لأسباب عديدة أهمها: الخوف من ثورة المحكومين والرغبة في الوصول إلى أفضل الحلول للمشاكل العامة المطروحة.

أما السياسة في الإصطلاح الشرعي: فقد استعملت بمعنى الأحكام التي تُساس بها الرعية، فقد جاء في قوانين السياسة عبارة "قانون السياسة"[1]؛ واستعملها فقهاء الفكر السياسي الإسلامي بمعنى الأحكام السلطانية[2]؛ وربطوها بالأفكار الشرعية من حيث الغاية والمقصد والحكم، ولبيان ذلك وتوضيحه أُورِد بعض تعاريف فقهاء المسلمين وعلمائهم للسياسة:

فقد قال ابن نجيم: "هي فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي"[3].

وقال ابن خلدون: "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها"[4].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. 1398هـ- 1978م. *قوانين الوزارة*. ط 2. القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة. ص:53.

2- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد حبيب. 1393 هـ-1973م. *الأحكام السلطانية*. مصر: دار الحلبي وأبناؤه. ص: 120.

3- ابن نجيم، زين الدين محمد بن إبراهيم. ب ت. *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*. ط2. ج 5. بيروت: دار المعرفة. ص:11.

4- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. 1984. *المقدمة*. ط 5. بيروت: دار القلم. ص: 191.

وعرَّفها عبد الرحمن تاج بأنها : "الأحكام التي تُنَظَّمْ بها مرافق، وتدبر شؤون الأمة، مع مراعاة أن تكون متفقة مع روح الشريعة، نازلة على أصولها الكلية، محققة أغراضها الإجتماعية، ولو لم يدل عليها شيء من النصوص التفصيلية الجزئية الواردة في الكتاب والسنة"[1].

ويتضح من التعاريف: أن السياسة في نظر علمائنا المسلمين لا بد أن تكون مندرجة تحت أصول الشريعة العامة، وقواعدها الكلية، وموافقة لمقاصدها المعتبرة، غير مخالفة لنص، أو إجماع، أو قياس، ومحققة لمصلحة تقرها الشريعة، وأن تصدر عن ولي أمر مختص، لتدبير شؤون المسلمين تحت ظلة سيادة الشرع. فالسياسة إذن جزء لا يتجزأ من الإسلام.

والسياسة عند العلماء المسلمين الحديث: هي الأحكام التي تنظم بها مرافق الدولة، وتُدَبِّرْ بها شؤون الأمة، مع مراعاة أن تكون متفقة مع روح الشريعة، نازلة على أصول الكلية، محققة أغراضها الاجتماعية، ولو لم يدل عليها شيء من النصوص التفصيلية الجزئية الواردة في الكتاب والسنة[2].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- الدريني، محمد فتحي. 1407هـ -1987م. *خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم*. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص: 190.

2- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. 1393هـ - 1973م. *الأحكام السلطانية*. مصر: دار الحلبي وأبناؤه. ص: 120.

ويعد العمل السياسي اليوم فرض عين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1].

يقول الشيخ سعيد حوى "فما دام حكم الإسلام غير قائم الآن، فإن العمل السياسي فرضُ عين على كل مسلم، وإذا كانت الفوضى لا تقيم حُكْماً، فالنظام فريضة، وكل ما يحتاجه المسلمون لإقامة الحكم الإسلامي فهو فريضة، وهذا كله يطلق عليه إسم العمل السياسي"[2].

ويتبين للباحث من أنَّ مصطلح السياسة له معانٍ أُخر، تتمحور حول شؤون الحكم في الدولة الإسلامية، وإن مفهومها اجتهادي، ولكن لا يخرج عن تحقيق مصلحة للأمة في سبل الحكم في الإسلام، حيث "لا سياسة إلاّ ما وافق الشرع"[3].

وإلى جانب ذلك، هنالك العديد من التعريفات التي تناولت مفهوم السياسة –Politic– عند الوضعيين من فقهاء الغرب نستعرض منها التالي:

تعريف رايموند جيتل الأمريكي: "إن علم السياسة هو علم الدولة؛ لأنه يبحث في التنظيمات البشرية التي تكون وحدات سياسية، وتنظيم حكوماتها وفعاليات هذه الحكومات، التي لها صلة بتشريع القوانين وتنفيذها، وفي علاقاتها بالدول الأخرى".

1- القرآن. الحج 22 :39.

2- زيتون، منذر عرفات. 1424هـ - 2003م. *الجريمة السياسية في الشريعة الإسلامية والقانون*. ط1. عمّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ص: 15.

3- الجوزية، إبن القيم. 1403هـ - 1983م. *مؤلفات إبن تيمية*. ط4. ج1. بيروت: دار الكتاب الجديد. ص: 10.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أما ريمون آرون الفرنسي فيعرفها على أنها: "دراسة كل ما يتصل بحكومة الجماعات؛ أي العلاقة القائمة بين الحكَّام والمحكومين؛ وبعبارةٍ أُخرى: كل ما يتصل بتدرج السلطة داخل الجماعات".

ويرى الكاتب الهندي أبادوري أنها: "دراسة تنظيم الجماعة، وأن الجماعة يجب أن تفهم بمعناها الواسع الذي يشمل الأسرة والقبيلة، والنقابة العُمَّالية أو المهنية، ويرى أن الجماعة كبُرَت أو صغُرَت لابد لها من سلطة كي تنْتَظِم، فالسياسة هي ممارسة السلطة"[1].

وعلى ذلك نجد أن هذه التعريفات تعكس توجهات متفاوتة في النظر إلى علم السياسة، وإن كانت جميعها تلتقي على أن هذا العلم يركِّز على موضعين أساسين هما: السلطة، والدولة[2].

فالسياسة عند علماء السياسة المعاصرين، هي: "فن الحكم"[3]، أو" فن الممكن" حيث تهتم بالحكم وما يتفرع عنه، من سلطة وقانون، جزاء وعقاب، وفكر، وغيره من الأمور المتعلقة بالدولة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- عدوان، عاطف إبراهيم. 1417 هـ - 1996م. *جذور علم السياسة*. غزة: دار البشير. ص: 3.

2- المرجع السابق. ص: 3-5.

3- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. 1393 هـ-1973 م. *الأحكام السلطانية*. مصر: دار الحلبي وأبناؤه. ص: 120.

وهذه السياسة لا تسمى شرعية[1]؛ إذ أن السياسة فيها هي: فن الممكن الدنيوي، من الواقع الدنيوي، دونما علاقة بين هذه الدنيا وبين الآخرة، ولا علاقة بين تدبير المعاش وسياسة العمران، وبين الاستقامة الدينية[2].

وبعد عرض تعاريف كل من الفريقين الاسلامي والوضعي لمدلول السياسة، يتضح جلياً أن هناك ثمة فوارق جوهرية بينهما، أي بين السياسة في الشرع الرباني والسياسة في التشريع الوضعي، وُجِبَ علينا توضيحها وأهم هذه الفوارق تتمثل في التالي:

1- أن السياسة الشرعية تسعى لتصريف شؤون الأمة، وتحقيق مصالحها في العاجل والآجل، بما يتوافق ونظم الإسلام وتعاليمه؛ أمَّا السياسة الوضعية فتوجهاتها متعددة، تختلف باختلاف قاداتها وأصحابه، وتقف عند تدبير الإنسان لحياته الدنيا وحدها.

ولقد مَيَّزَ ابن خلدون السياسة الإسلامية عن السياسة الدنيوية، فالأولى سياستها شرعية، تَـرْبُطْ صلاح الدنيا بصلاح الآخرة، بينما لا تربط الثانية بين الصلاحين: "فالسياسة الدنيوية هي المفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها، وهي لا تطلع إلاَّ على مصالح الدنيا فقط، بينما السياسة الإسلامية مفروضة من الله بشارع يُقَرِرُهَا ويُشَرِّعْهَا، وهي نافعة في الحياة والدنيا"[3].

1- عمرو، عبد الفتاح. 1418هـ - 1998م. *السياسة الشرعية في الأحوال الشخصية*. الأردن: دار النفائس. ص: 28.

2- التيجاني، حامد التيجاني عبد القادر. 1416هـ- 1996. *أصول الفكر السياسي في القرآن المكي*. عمّان: دار البشرى. ص: 17.

3- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. 1984 . *المقدمة*. ط 5. بيروت: دار القلم. ص: 190.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يقول محمد عمارة: "ذلك هو جوهر ومنطلق الخلاف بين مضمون السياسة في الحضارة الإسلامية، ومضمونها في الحضارة الغربية، ويبدأ الخلاف حول مصدر كل حضارة للإنسان، فالخليفة هو عن الله سبحانه وتعالى، فتكون دنياه معبراً إلى الآخرة، التي هي خير وأبقى، فيسوس عمران الدنيا بشريعة الدين، قياماً بتكاليف عقد وعهد والإستخلاف على النحو الذي يجعل هذه السياسة سياسة شرعية؟ أم أن هذا الإنسان هو سيد الكون الذي تقف معارفه وعلومه عند ظاهر الحياة الدنيا، والذي تهدف سياسته للعمران تحقيق المقاصد الدنيوية، ولا شيء وراءها، حتى ليفصل الدين عن العمران كله، وليس فقط عن الدولة كسلطة تنفيذية"[1].

2- تميُز السياسة الشرعية عن السياسة الوضعية باعتماد الأولى على مصادر التشريع الإسلامي، وارتباطها بالوحي، واعتماد الثانية على الأعراف والعادات الموروثة أو غيرها، دون ربطها بمصدر سماوي[2].

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: "من الواضح الذي لا يكاد يحتاج إلى شرح: أنَّ السياسة الشرعية هي القائمة على قواعد الشرع وأحكامه، وتوجيهاته، فليست كل السياسات هي سياسة شرعية لأن الكثير منها تعادي الشرع، وكثير منها لا تبالي بالشرع، رضي أم سخط، قبل أو رفض، إنما تمضي في طريقها وفقاً لتصورات أصحابها وأهوائهم،

1- عمارة، محمد. 1418هـ- 1998م. *الإسلام والأمن الإجتماعي*. القاهرة: دار الشروق. ص: 22.

2- عمرو، عبد الفتاح. 1418هـ- 1998م. *السياسة الشرعية في أحوال الشخصية*. الأردن: دار النفائس. ص: 28.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فمنهم من يحكم بفلسفات وأفكاراً معينة "أيديولوجيات" يستند إليها، ويعدل إليها، كما يفعل العلمانيون المعاصرون سواءً كانوا ليبراليين، أم سياسيين ماركسيين، ومنهم من يحكم بتقاليد ورثها عمَّن سبقوه من أباء أو زعماء، لا يسأل نفسه أهي موافقة لشرع أم مخالفة! ومنهم من يحكم هواه ومصلحته، وبقاؤه على الكرسي"سدة الحكم"، ولا يعبأ بمصلحة الأمة، ولا بمبادئها وطموحاتها، ولا بقيمها ومعتقداتها، ومثل هذه الشخصيات لا يمكن أن تعتبر سياسة شرعية، إنما السياسة الشرعية المنشودة: شرعية المنطلقات، شرعية الغايات، شرعية المناهج "[1].

ومِمَّا يؤخذ على السياسة في العصر الحاضر أنها رهن إشارة الحاكم، فلا قول إلاَّ ما يقول، ولا خير إلاَّ حسب وجهة نظره، مما يجعل السياسة في العصر الحاضر عبارة عن سيف مسلَّط على رقاب العامة من الشعب، ينفر منها كل من يقترب منها، ويسير في ركب القائد، مما يجعل السياسة: ظالمة وجائرة، وجامدة[2]، وأنها حكر على فئة معينة من الشعب دون سواهم.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- القرضاوي، يوسف. 1421هـ - 2000م. *السياسة الشرعية في نصوص الشريعة ومقاصدها*. مؤسسة الرسالة. ص: 26.

2- سمور، أسامة أحمد محمد، 1430هـ - 2009م. *الجرائم السياسية في التشريع الجنائي الإسلامي*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه والتشريع). نابلس: جامعة النجاح الوطنية. كلية الدراسات العليا. ص: 12.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للنظام السياسي

اختلفت تعريفات النظام السياسي وتباينت حسب النظرة التي يوليها كل فقيه اهتمامه، ورغم هذا الاختلاف والتباين إلاَّ أنه يمكن القول أن هذه التعريفات قد حدَّدَت معنيين لمصطلح النظام السياسي، إحداهما ضيق وهو التعريف التقليدي، والآخر واسع وهو التعريف الحديث.

أ- المعنى الضيق لتعبير النظام السياسي

وهو مفهوم يُركِّزْ على الجانب الشكلي أو المعنى العضوي للسلطة بمعنى أنه يأخذ بعين الاعتبار شكل الحكم الذي يسود مجتمعاً معيناً. كما هو مُبين في الدستور؛ وبذلك هناك تطابق وفق هذا المفهوم بين النظام السياسي والقانون الدستوري، لأن القانون الدستوري يُبَيِّنْ نظام الحكم، ويحدِّد السلطات العامة واختصاصاتها والعلاقة فيما بينهما وحقوق الأفراد وحرياتهم[1]؛ وفي هذا الصدد ذهب جورج بيردو(Gorge Pirdo) إلى القول بأن: "النظام السياسي هو كيفية ممارسة النظام في الدولة"[2]، فالمدرسة الدستورية تعتبر النظام السياسي بأنه المؤسسات السياسية وبالذات الحكومة الموجودة في مجتمع معين[3].

1- الزائدي، محمد فرج. 1997. *مذكرات في النظم السياسية*. ط 2. طرابلس: المؤسسة العالمية للنشر والتوزيع. ص: 8.

2- الخزرجي، تامر كامل محمد. 2004. *النظم السياسية الحديثة والسياسة العامة*. الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ص: 21.

3- سعد، إسماعيل علي و حسن، حسن محمد. 2005. *النظريات والمذاهب والنظم - دراسات في العلوم السياسية*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص: 138.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ولقد ساد هذا المفهوم في ظل الدولة الحارسة حيث لم تكن النظم الاجتماعية والاقتصادية للدولة ضرورية لمعرفة نظامها السياسي. إلاّ أنه بفعل ضغط التطور الصناعي والتكنولوجي اتسعت نشاطات السلطة العامة وتنوعت أهدافها تغير مفهوم النظام السياسي ليتلاءم مع التطور في أنشطة الدولة[1]، لذلك نادى بعض فقهاء علم السياسة بمفهوم أوسع للنظام السياسي، مما أدى لتبني نظرة شمولية أوسع من النظرة الشكلية التقليدية.

ب- النظرة الشمولية الواسعة لتعبير النظام السياسي

المعنى الواسع والمعاصر لمفهوم النظام السياسي فيعني نظام الحكم في البلد وليس في شكله الدستوري، لذلك فإن دراسة النظام السياسي لدولة ما في الوقت الحاضر يجب ألاَّ تقتصر على تبيان شكل الحكم فيها من خلال القواعد الدستورية المطبقة، وإنما لا بد أن تكون هذه الدراسة شاملة للفلسفات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من ناحية تأثيرها على القوى الرسمية (الحكَّام) في مباشرتها لمهام السلطة، وعلاقة هذه الأخيرة بالأفراد من ناحية ثانية[2]، بمعنى قيام فكرة جديدة لا تستند إلى جانبه الشكلي للسلطة بقدر ما تعتمد على مجالات نشاطاتها.

وفي معرض الحديث عن ما الذي يُكْسِبُ النظام السياسي شخصيته المَميزة وخصائصه التي تحدد صفاته يختلف علماء السياسية في تفاصيل التعريف، وإنْ كان هناك

1- عثمان، حسين عثمان محمد. 1998. *النظم السياسية والقانون الدستوري*. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية. ص: 11- 12.

2- الخزرجي، تامر كامل محمد. 2004. *النظم السياسية الحديثة والسياسة العامة*. الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ص: 22.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

شبه إجماع على وصف النظام السياسي باستخدام أدوات الإكراه المشروعة في الجماعة السياسية، فنجد ديفيد إستون(David Iston) يُعرِّف النظام السياسي بأنه: "تلك الظواهر التي تكون في مجموعها نظاماً هو في الحقيقة جزء من مجموع النظام الإجتماعي، ولكنه تفرع عنه بقصد البحث والتحليل"[1]، فهو يرى أن النظام السياسي جزء من نظام أشمل هو النظام الاجتماعي، وأنَّ هناك علاقة تأثير مُتبَادلة بين النظامين، وأن محور النظام الاجتماعي هو النظام السياسي الذي يُعَد أكثر الأجزاء تطوراً وتأثيراً في حياة الدولة.

أمَّا موريس دوفرجيه (Mouris Douvergi) فيري النظام السياسي بأنه: "مجموع الحلول اللازمة لمواجهة المشاكل التي يثيرها قيام الهيئات الحاكمة وتنظيمها"[2].

في حين يعتبر غابريل ألموند (Gabriel Almond) النظام السياسي من أنه: "نظام التفاعلات الموجودة في كافة المجتمعات المستقلة التي تضطلع بوظيفتي التكامل والتكيف داخلياً وخارجياً عن طريق استخدام أو التهديد باستخدام الإرغام المادي المشروع".

أما روبرت دال (Robert Dahl) فيعرِّف النظام السياسي بأنه: "نمط مستمر للعلاقات الإنسانية يتضمن إلى حد كبير القوة والحكم والسلطة"، ويرى مارولد لاسويل

1- الجاسور، ناظم عبد الواحد. 2004. *موسوعة علم السياسة*. عمَّان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ص: 364 - 365.

2- فتَّاح، شبَّاح.2008. *تصنيف الأنظمة السياسية الليبرالية على أساس مبدأ الفصل بين السلطات – دراسة حالة النظام السياسي الجزائري*. (رسالة ماجستير في العلوم السياسية). جامعة الحاج لخضر - باتنة. ص: 6.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

(Harold Lasswel) بأن النظام السياسي هو "النفوذ وأصحاب النفوذ على أساس مفهوم القوة مُفسّرة بالجزاء المتوقع".

أمّا ماكس ويبر (Max Weber) فيعتبر النظام السياسي بأنه هو "ذلك النظام الذي يضمن تنفيذ الأوامر في المنطقة المعينة الحدود وبصورة مستمرة بواسطة السلطة الفعلية عن طريق هيئة إدارية دائمة"[1].

أما من المفكرين العرب فقد عرّفه إبراهيم درويش بأنه "مجموعة الأنماط المتداخلة والمتشابكة المتعلقة بعمليات صنع القرارات والتي تترجم أهداف المجتمع وخلافاته الناتجة من خلال الجسم العقائدي الذي أضفى الشرعية على القوة السياسية فحوّلها إلى سلطات مقبولة من الجماعات السياسية تمثّل في المؤسسات السياسية".

كما عرّف طه محمد بدوي النظام السياسي من أنه "عبارة عن مؤسسات منظمة قانونية ومستقلة ومرتبطة بمواقع مجتمعها الحضاري والثقافي والروحي أي بالسيادة أو البيئة التي تعمل فيها".

إذن، فالنظام السياسي عبارة عن مجموعة من القواعد والأجهزة المتناسقة المترابطة فيما بينها تُبَيِّن نظام الحكم ووسائل ممارسة السلطة وأهدافها وطبيعتها ومركز الفرد فيها وضمانته

1- الخزرجي، تامر كامل محمد. 2004. *النظم السياسية الحديثة والسياسة العامة*. الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ص: 24.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

من قِبلها، فهو عملية وإحتواء النشاطات السياسية للأفراد والجماعات، أي الأنماط المتداخلة والمتشابكة الخاصة بصنع القرار السياسي في الجماعة السياسية[1].

المطلب الثاني: أهم خصائص وأسس النظام السياسي في الإسلام

إن البحث في النظام السياسي الإسلامي وعرضه عند تناوله بالدراسة، يقترن دائماً بصعوبة تقريب أصول الحكم الإسلامي إلى الأذهان، نتيجةً لبُعد الشقة بين واقع البلاد الإسلامية ونظام الحكم الإسلامي؛ لاسيما وأنه مرت فترات في تاريخ المسلمين أساء فيها بعض الحكّام تطبيق نظام الحكم الإسلامي بصورة واضحة، مما يترتب عليه في بعض الأحيان، عدم تصور قواعد الحكم الإسلامي إلا من خلال مقاييس واصطلاحات الأنظمة الوضعية المعاصرة، وفي هذا من الظلم البيّن الذي لا يخفى على أحد، فلا يمكن أن يدرس إلا من خلال حدوده والفكرة التي يقوم عليها، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى، فإن نظام الإسلام السياسي يقوم على عقيدة تتناقض مع الفكرة التي تقوم عليها هذه المصطلحات السياسية المعاصرة والتي هي من وضع البشر[2].

1- فتّاح، شبّاح. 2008. *تصنيف الأنظمة السياسية الليبرالية على أساس مبدأ الفصل بين السلطات – دراسة حالة النظام السياسي الجزائري*. (رسالة ماجستير في العلوم السياسية). جامعة الحاج لخضر- باتنة. ص: 7.

2- طعيمة، صابر. 2005. *الدولة في الإسلام*. القاهرة: مكتبة مدبولي. ص: 213.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

حيث جاءت الشريعة الإسلامية بنظام سياسي متكامل، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أول رئيس وقائد ومعلم لدولة الإسلام التي ظهرت بعد أن هاجر للمدينة وأقام الدولة الجديدة وأعتمد القرآن الحكيم والسنة دستوراً لها[1].

أولاً: خصائص النظام السياسي الإسلامي

يتميز النظام السياسي في الإسلام عن غيره من الأنظمة التي وضعها البشر بخصائص جعلت منه النظام الأوحد والأصلح لكل زمانٍ ومكان، ومن هذه الخصائص:

1- الربانية: وهي الأصل الذي تنبثق منه كل الخصائص التالية: العموم،الشمول، الوسطية، الواقعية، والثبات والتطور.

وتعني الربّانية: أنَّ مصدر التشريع من الله سبحانه وتعالى المتصف بصفات الكمال المنزه عن كُلِ نقص، فهو الخالق للبشر والمدبّر لشؤونهم، والمالك لنواصِيهم والمحيط بكل أمورهم، دقيقها وعظيمها، حاضرها ومستقبلها، فلا يتأثر بالزمان والمكان، ولا تحكمه الأهواء والنزعات لأنه المنزَّه عن الأهواء والنزعات، ولا يتحيز لجنسٍ ولا للون ولا لقوم لأنه رب العالمين[2]. وتترتب على خاصية الربّانية أصول ومبادئ هامة منها:

1- أبوزيد، محمد عبد الحميد. 2001. *الأنظمة السياسية المعاصرة*. الطبعة الثالثة.ص: 3.

2- عمر، هدي جميل عمر. 1424هـ - 2003م. *الثبات والتطور في التشريع الإسلامي*. (رسالة ماجستير منشورة في الشريعة الإسلامية). نابلس: جامعة النجاح الوطنية. ص: 10.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أولاً: الحكم لله وحده: أي أن سلطة التشريع لله عز وجل وحده لا يشاركه فيها أحد، والله سبحانه وتعالى يقرر هذا الأصل؛ إذ يقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

ثانياً: قناعة المكلّف بالتشريع الإسلامي الذي يستلزم عُمق الإيمان بالمشرِّع وبالتالي المسارعة إلى الانقياد لتشريعاته والالتزام بأحكامه، وتنفيذ أوامره فهو يطبِّق الشريعة بوصفه ديناً قبل أن يكون قانوناً.

ثالثاً: ليس للمؤمن خيار في قبول هذا التشريع أو رفضه؛ لأنَّ قبوله من مقتضيات الإيمان، ومستلزمات الفطرة،[3] وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[4].

2- العالمية: للنظم التي جاء بها الدين الإسلامي ذات خصيصة عالمية، فعالمية الزمان تعني أنها صالحة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وعالمية المكان تعني أنها صالحة على كل البشر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[5].

1- القرآن. المائدة 5: 50.

2- القرآن. يوسف 12: 40.

3- عمر، هدي جميل عمر. 1424هـ - 2003م. *الثبات والتطور في التشريع الإسلامي*. (رسالة ماجستير منشورة في الشريعة الإسلامية). نابلس: جامعة النجاح الوطنية. ص: 13.

4- القرآن. الأحزاب 33: 36.

5- القرآن. القلم 68: 52.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

3- العموم والشمول: جاء التشريع الإسلامي نظاماً شاملاً لحياة الإنسان كلها، حيث شملت أحكامه كل ما يحتاجه الناس على الإطلاق، فلا تخلو حادثة واحدة من حكم شرعي في جميع الأعصار والأمصار والأحوال، فالمعاني التي تضمّنها التشريع الإسلامي تعم جميع الحوادث وتسعها إلى يوم القيامة، ومن مظاهر هذا الشمول[1]:

- شموله لشؤون الدين والدنيا والآخرة، فهو يرسم للإنسان سبيل الإيمان ويبين له أصول العقيدة وينظّم العلاقة بربه، وبنفسه، ومع الآخرين.

- شموله للإنسان في كل أطوار حياته، فشريعة الإسلام ترعى الإنسان، وتدير شؤونه من قبل ولادته حتى وفاته وبعد وفاته.

- شموله لجميع نشاطات الإنسان في كل الميادين الحاضرة والمستجدَّة، سواءً المالية أم الاجتماعية أم الاقتصادية أم القضائية أم السياسية وغيرها، وأوضح القرآن الكريم شمولية التشريع الإسلامي أَبْيَنَ توضيح؛ فقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[3].

والمعنى المستفاد من الآيتين الكريمتين: أنَّ الله تعالى لم يترك شيئاً إلاَّ بيّنه للناس، ولم يترك شيئاً من أمور الدنيا والدين إلاَّ وقد دَلَّ عليه في كتابه الكريم إما دلالة مُبيّنة مشروحة؛

1- عمر، هدي جميل عمر. 1424هـ - 2003 م. *الثبات والتطور في التشريع الإسلامي*. (رسالة ماجستير منشورة في الشريعة الإسلامية). نابلس: جامعة النجاح الوطنية. ص: 15.

2- القرآن. النحل 16: 89.

3- القرآن. الأنعام 6: 38.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وإما مُجملة بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، فصدق خب الله بأنه ما فرّط في الكتاب من شيء إلاَّ ذَكره، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[1].

4- الواقعية: وتعني الواقعية في النظام السياسي الإسلامي عدة أمور من أهمها:

1- الإتيان بالأنظمة والقوانين السياسية الممكنة التطبيق في واقع المجتمع.

2- أنها تنظر للحكام أو القادة على أنهم بشر، لهم حقوق وعليهم واجبات.

5- الوسطية: جاء الإسلام وسطاً في شريعته، فلقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالوسطية فيقول عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[2].

6- الثبات والتطور: لقد تضافرت الأدلة من القرآن والسنة النبوية الشريفة والتابعين على ثبات التشريع الإسلامي،يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، والذكر بالآية المقصود به هو القرآن الكريم، وهو وحده سبحانه وتعالى الحافظ له من التغيير والتبديل، أو يزاد منه أو ينقص، ويقول تعالى في موضعٍ أخر من القرآن الكريم: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ

1- القرآن. المائدة 5: 3.

2- القرآن. البقرة 2: 143.

3- القرآن. الحجر 15: 9.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، أي أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه؛ ومعنى الباطل هنا الزيادة والنقصان، وهذا الحفظ لا يعني حفظ الكلمات من التحريف، بل الحفاظ هنا عام يشمل النصوص وما اشتملت عليه من مفاهيم، ومبادئ، وأحكام ومقاصد قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2]، أي محكمة في لفظها، مُفصلة في معناها فهو كامل سورةً ومعنى.

وإنْ كانت الآيات السابقة جميعها تدل على عصمة التشريع الإسلامي وصونِهِ من التبديل والتغيير فهي كذلك بإشارتها على ثباته ليوم القيامة.

كما أن هناك من الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يثبت تطور التشريع الإسلامي، ومنها:

قوله تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ﴾[3]، يقول البيضاوي: "اليوم أكملت لكم دينكم بالنصر وإظهاره على الأديان كلها بالتنصيص على قواعد العقائد، والتوقيف على أصول الشرائع، وقوانين الاجتهاد"[4].

1- القرآن. فصلت 41: 42.

2- القرآن. هود 11: 1.

3- القرآن. المائدة 5: 3.

4- البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر الشيرازي. 1402هـ- 1982م. *تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. بيروت: دار الفكر. ص: 141.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وقوله تبارك وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1]،أي ما تركنا من شيء إلاَّ وقد بيَّنَاه لكم إما نصاً أو دلالة، وإما مجملاً وإما مُفْصلاً، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، أي لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين، "وما يسأل الناس عن شيء إلاَّ في كتاب الله تبيانه"[3].

ومن الأدلة النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم، "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها"[4].

قال العلماء في معنى المجدد: إحياء العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها وأمانة ما يظهر من البدع والحادثات[5].

ثانياً: أسس النظام السياسي الإسلامي

القاعدة الأولى: العدل

العدل لغةً: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، ويقال: **عَدَلَ عن طريق عُدُولاً**، مال عنه وانحرف.

1- القرآن. الأنعام 6: 38.

2- القرآن. النحل 16: 89.

3- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث. 1416هـ- 1996م. *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*. ط1. ج2 . تحقيق: العمروي، محي الدين عمر بن حمد. بيروت: دار الفكر. ص: 301.

4- حديث. أبي داود. *كتاب الملاحم. باب ما يذكر في قرن المائة*. 4/ 109.

5- آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق. 1388هـ - 1968م .عون المعبود شرح سنن أبي داود. ط2. ج11. بيروت: دار الفكر. ص: 385 – 386.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والعَدْلُ: الحكم بالحق ، يقال :هو يقضي بالحق ، ويعدل، **والعَدْلُ والعِدْلُ والعَدِيلُ** سواء، أي النظير والمثيل، فعدل الشيء مثله من ضده، أو مقداره[1].

أما اصطلاحاً: فيعني الاستقامة على طريق الحق، بالإجتناب ما هو محظور دينياً.

أمّا في الكتاب والسنة فإن العدل يُعَدْ إحدى أهم قواعد النظام السياسي في الإسلام؛ إذ يُمثِّل دعامة وطيدة وميزة حقيقية للشريعة الإسلامية فهي قاعدة أصيلة وعظيمة، ونبيلة ومتينة؛ وكيف لا يعتمد الإسلام هذه القاعدة في نظامه السياسي وهي أول صفات الله تعالى التي يقوم بها على خلقه قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[2].

وأوامره وأحكامه سبحانه وتعالى قائمة بالصدق والعدل قال الله سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[3].

وبما أنَّ الشريعة الإسلامية جاءت لإحقاق الحق وإقامة العدل عموماً وإرساء قواعده وإخراج الإنسان من براثن الظلم والتنزه عن الهوى، فإن الإسلام حرص على تطبيق هذه القاعدة وأولاها اهتماماً بالغاً لما تحمله في طيَّاتها من خير وسعادة للبشرية جمعاء، وعمل على ترسيخها بين أفراد المجتمع نظراً لكونها من الأسس التي لا يستغني عنها في استقامة الحياة

1- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (ت 721 هـ). 1415هـ- 1995م. *مختار الصحاح*. ج 1. تحقيق: الأبياري، إبراهيم. بيروت: مكتبة لبنان. ص: 168.

2- القرآن. آل عمران 3: 18.

3- القرآن. الأنعام 8: 115.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الإنسانية، وإن التهاون في تطبيقها لا يعني إلأ شيئاً واحداً هو الظلم الذي لا تستقيم معه حياة ولا يتقبله أو يرضاه إنسان[1]، ويشهد لذلك ما جاء في كتاب ربنا عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[2].

وجه الدلالة: أكدت هذه الآية على وجوب العدل، فيؤمرنا الله سبحانه وتعالى به ولو ضد أنفسنا، أو قرب الناس إلينا، وحذرنا من أن يميل بنا الهوى عن العدل، وأن يقيموا الشهادة خالصة لوجهه تعالى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[3].

وجه الدلالة: ذكر العلماء في تفسير هذه الآية أن الخطاب موجه إلى ولاة الأمور بأداء الأمانات إلى أهلهم ورعيتهم، وأن يحكموا بين الناس بالعدل، وأن يقوموا برعية الرعية

1- السدلان، صالح بن غانم. 1412هـ - 1992م. *أسس الحكم في الشريعة الإسلامية*. الرياض: دار المسلم. ص: 39 -40.

2- القرآن. النساء 4: 135.

3- القرآن. النساء 4: 58.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وحملهم على موجب الدين والشريعة، ورد الظلمات، وأنَّ اللهَ أمرهم بالرجوع إلى كتابه وسنة نبيهِ محمد صلى الله عليه وسلم في ما أشْكَلَ عليهم أو ما تنازعوا واختلفوا عليه[1].

وإذا كانت هذه الآية الكريمة قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم العدل فهذان هما إجماع السياسة العادلة والولاية الصالحة.

قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وجه الدلالة: يأمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالعدل ونهى عن نقيضه وهو الظلم والبغي؛ وكما أمر الله جل جلاله بالعدل بصفة عامة من خلال الآيات الكريمة السابقة الذكر، فإنه أمر كذلك بالعدل قولاً: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4].

1- حميدان، غسَّان عبد الحفيظ محمد. 1424هـ - 2003 م. *مسؤولية رئيس الدولة عن تصرفاته*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه والتشريع). جامعة النجاح الوطنية: نابلس. ص: 43 .

2- القرآن. النحل 16: 90.

3- القرآن. الأنعام 6: 152.

4- القرآن. المائدة 5: 8.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وجه الدلالة: يأمرنا بالعدل مع من بيننا وبينه عداوة؛ فهذه العاطفة لا ينبغي أن تميل بنا عن العدل الذي هو أساس المجتمع الصالح والحكم الرشيد.

وعموم هذه الأمثلة من النصوص القرآنية تؤكد بأن الله تعالى يأمر الحكام بالعدل ويأمر الأفراد كذلك به بل ويأمر بالعدل حتى مع الأعداء، وكذلك الكافر لا يمنع من العدل عليه.

أمَّا الذين يتركون العدل ولا يقيمونه فيما بينهم نجد أنَّ الله عزَّ وجَلْ قد توعدهم في كتابه وعلى لسان نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[2].

وقوله عزَّ وجل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- القرآن. الصافات 37: 22.

2- القرآن. إبراهيم 14: 42.

3- القرآن. إبراهيم 14: 42.

السنة النبوية الشريفة

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالْ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ)أولهم **"الإِمَامُ الْعَادِلُ ..."**[1].

وجاء في الحديث القدسي عن أَبِي ذَرّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَى عَنْ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا)[2].

كما حذَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظلم نقيض العدل أشدَ تحذير وأنذر أهله بالعذاب ومثال ذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعَاذاً بن جبل والياً إلى اليمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم موصياً إيَّاه: (إنك تأتي قَوْمَاً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)[3].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- صحيح البخاري. *كتاب الأذان. باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد.* 1-150.ح : 660.

2- صحيح مسلم. *كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم.* ح: 2577. ص: 1257.

3- صحيح مسلم. *كتاب الإيمان. باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.* ح: 19. ص: 39.

القاعدة الثانية: المساواة

المساواة لغةً: يقال: ساوى الشيءُ الشيءَ، أي عادله؛ ويقال: فلان وفلان سواء أي متساويان؛ وقومٌ سواء؛ لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع؛ وهما على سَوِيَّةٍ من هذا الأمر، أي على السواء والسَّوِيَّةُ والسَّوَاءُ: العدل والنُصْفَة؛ وسواء الشيء: وسطه، يقال: مكان سواء، أي متوسط بين المكانين.

وسواء الشيء: مثله، والجمع أسواء، ومنه: استوى الشيئان وتساويا: أي تماثلا[1].

أما في الإصطلاح فإن المساواة تعني: "تماثلٌ كامل أمام القانون، وتكافؤ كامل إزاء الفرص، وتوازنٌ بين الذين تتفاوت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميع"[2].

وهي سمة من سمات الإسلام وأصلٌ من أصوله، وأساس من الأسس الدستورية للنظام السياسي في الإسلام، فالمساواة بين الناس تعد حتمية لسيادة العدل في المجتمع الإسلامي، كما أنها ليست وليدة اجتهاد فردي، أو نتاج تفكير فلسفي، بل هي قاعدة أساسية قرَّرَها الخالق عَزَّ وَجَلْ، فالناس جميعاً سواسية على الرغم من اختلاف ألوانهم وأعراقهم وتنوع لغاتهم وتعدد بلدانهم، وتفاوت درجاتهم الاجتماعية، فلا تفاضل بينهم في انسانيتهم، وإنما يرجع معيار التفاضل بين كل البشر إلى أُسسٍ أُخرى، ونستشهد في ذلك كله للنصوص التي وردت في كتاب الله الكريم وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

1- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. 1988. *مختار الصحاح*. بيروت: دار الهلال. ص: 176.

2- عمارة، محمد. 1418هـ - 1998م. *الإسلام والأمن الإجتماعي*. القاهرة: دار الشروق. ص: 95.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

القرآن الكريم

قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

وجه الدلالة: تُبيِّن هذه الآيات إلى أنَّ معيار التفاضل بين جميع البشر عند الله هو التقوى، وأنَّ الأصل الأول للبشر واحد، وكما أنهم متساوون في أصلهم الأول، أي بمعنى أنَّ الناس خلقوا من ذكرٍ وأنثى فإنهم في الخلقة كذلك من أصل واحد، ومرُّوا بأطوارٍ متساوية كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3].

1- القرآن. الحجرات 49: 13.

2- القرآن. النساء 4: 1.

3- القرآن. الحج 22: 5 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

وجه الدلالة: تُبيِّن الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى أرسل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لكل الناس، فلم يختص فئة دون فئة، أو استثنى أمة عن غيرها، كما أرسله ربنا الكريم رحمة مُهداة للعالمين.

ونستشهد بالقرآن الكريم، حين أبَى لِسَادات قريش أن يكون تميزهم على سائر المسلمين من الضعفاء والفقراء حتى يكون ذلك ثمن دخولهم الإسلام ولقد هَمَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم إلى طلبهم وأن يجعل لهم يوماً والضعفاء وللفقراء يوماً أخر، وذلك حرصاً منه صلى الله عليه وسلم على إسلامهم، وتأليفا لقلوبهم إلى حين، فرفض القرآن الكريم هذا الأسلوب؛ وقال تعالى بخصوص ذلك: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- القرآن. سبأ 34: 28.

2- القرآن. الأنبياء 21: 107.

3- القرآن. الأنعام 6: 52.

السنة النبوية الشريفة

أكد رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على مبدأ المساواة الذي قرَّرَهُ القرآن الكريم فقد قال في حجة الوداع: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى)[1].

وجه الدلالة: يفيد الحديث أن الناس كلهم سواء، وأنَّ معيار التفاضل بينهم ليس بأجناس الناس ولغاتهم، أو حتى تنوع لغاتهم وتفاوت درجاتهم في المنصب والمال، بل هو معيار يتساوى الخلق أمامه جميعا وهو معيار التقوى.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث نبوي أخر: (أَرْبَع فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالاسْتِسقَاءُ بِالنجُوم، وَالنِّيَاحَةُ)[2].

وجه الدلالة: حَذَّرَ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أمور الجاهلية، وإنكاره صلى الله عليه وسلم التمايز بالأحساب والتفاخر بها، فالله سبحانه وتعالى هو وحده من

1- الامام أحمد، ابن محمد ابن حنبل بن هلال بن أسد. 1993. *متون الحديث: مسند الامام أحمد*. بيروت: دار احياء الثرات العربي. مسند الأنصار.ح: 22789.

2- صحيح مسلم. *كتاب الجنائز. باب التشديد في النياحة*. 644/2. ح: 934 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يضع الأنساب يوم القيامة، ولا يرفع إلاَّ من انتسب إليه، يقول تعالى في محكم آياته: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾[1].

ولعل من أروع صور المساواة وأبرزها في الإسلام هو تساوي الناس أمام قانونها، ودون تفرقة، فمن خصائص العقوبة في الإسلام أنها عامة وهي أن العقوبات تُطبَّق على كل الجميع ما داموا قد ارتكبوا ما يوجبها، فلا فرق بين غنيٍ أو فقيرٍ وبين حاكم ومحكومين، أو قوي وضعيف، ونهت الشريعة الإسلامية كذلك عن المحاباة في تطبيق العقوبة الشرعية على مرتكب موجبها، وبينت أن عدم المساواة أمام القانون سبب لهلاك المجتمع، ولقد بيَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، حين شفع بعض الناس لامرأة شريفة من بني مخزوم سرقت فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[2].

وجه الدلالة: يُبين الحديث عدم جواز الشفاعة في حدٍ من حدود الله بسبب الوضع الاجتماعي، لأن في ذلك إخلال بمبدأ المساواة.

1- القرآن. المؤمنون 23: 101.

2- صحيح البخاري. *كتاب الحدود. باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان*. 3/ 306. حديث رقم: 6788.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وحين عَيَّرَ أبوذر الغفاري بِلالاً بن رباح بلونه الأسود غَضِبَ منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال للصحابي الجليل: "إنك أمرؤٌ فيك جاهلية"[1]، وهو دليل نبوي أخر يُبيِّن فيه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أنَّ الإسلام ألغى ما في الجاهلية من معايير زائفة، كالتفرقة العنصرية بسبب الجنس أو اللون.

كما قَرَّرَ الإسلام الحماية القانونية، والمساواة أمام القضاء حتى لغير المسلمين، فها هو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول لعمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ يوم استكبر ابنه على شابٍ قبطي: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[2].

وهنا نستنتج أنَّ الإسلام قد أرسى دعائم العدل والمساواة بين المسلمين بعضهم بعضاً، ومع المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب أو المشركين في الحقوق المدنية، وَتَمَّ تطبيقها واقعاً عملياً في حياة الأفراد سواءً حكاماً أو محكومين.

وإلى جانب المعيار الأساسي للمساواة في الإسلام والمتمثل في التقوى، فإنَّ هنالك تمايز وتفاضل بين الناس على أسسٍ معينة أخرى، نجدها واضحة من خلال نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ذلك على سبيل المثال:

1- صحيح البخاري. *كتاب الادب*. باب ماينهى من السباب واللعن. ح: 5703.

2- بن زير، رمضان. 1992. *حقوق الإنسان*. ليبيا: منشورات جامعة ناصر. ص: 54.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- التفاضل بالعلم، كما يقول البارئ عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1].

2- التفاضل في السبق إلى الخير، يقول تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

3- التفاضل بين الناس بحسن الخلق، فقد جاء في صحيح البخاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن من أحبكم لي أحسنكم أخلاقاً"[3].

4- التفاضل بتعلم القرآن وتعليمه، حيث قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه"[4].

ولقد عرفت الأمم قبل الإسلام معنى العدل والظلم، إلاَّ أنها ما كانت تعرف حدود كل منها، فإذا نظرنا لكتب التاريخ لوجدنا أن الشعب اليوناني قد قام بالتفريق بين من ينتسب إلى أصل يوناني وبين من لم يمت إليه بصلة وتم تقسيم النظام إلى ثلاثة طبقات:

1- القرآن. الزُمر 39: 9.

2- القرآن. الحديد 37: 10.

3- رواه الطبراني في الأوسط(7697). والخطيب في " تاريخ بغداد" (263/5). وابن عدي في الكامل(63/4) وابن بشران في الأمالي(2/ 44).

4- الدمشقي، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. 1422هـ – 2002م. *تفسير ابن كثير*. ج1. دار طيبة. ص: 82.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المواطنون (الأحرار)، والجنود (المحاربين)، والعبيد (العَّامة)، وخوَّلَتْ للأولى السيادة على الآخرين، وجاراه الشعب الروماني في ذلك بل أضاف شيئاً من الغلو، فهو لم يقم بالتفرقة بين من هو روماني وبين غيره فحسب، بل بلغ من التفرقة بسبب العرق والجنس واللون بأن قدم للعالم قانوناً عُرف بقانون الشعوب، وجعل للرومان السيادة والقيادة والزعامة، وللآخرين الخضوع والطاعة والتبعيّة[1].

من خلال تتبع موقف الإسلام وغيره من غير المسلمين من المساواة، نجد أنَّ الإسلام أول من أرسى دعائم العدل والمساواة حتى أضحت سمة من سمات الإسلام وأصل من أصوله، وأنَّ معيار التفاضل الرئيسي بين كل الناس هو التقوى، وأنَّ كل المعايير السابقة كمعيار الشرف أو القوة والنفوذ، أو الجنس واللون، هي معايير زائفة تدعو للفرقة والاختلاف والتشرذم داخل المجتمع الواحد.

القاعدة الثالثة: الطاعة

الطاعة لغةً: نقيض الكره، طاعه يطوعه، وطاوعه، **والإسم**: الطَّواعة، والطَّواعية، **والجمع**: طُوَّع[2]. يقال: **طَاعَ لهُ** إذا انقاد، **وأَطَاعَ**: اتبع الأمر ولم يخالفه، **والاستطاعة**: القدرة

1- طبارة، عفيف عبد الفتَّاح. 1982. *روح الدين الإسلامي*. ط22. بيروت: دار العلم للملايين. ص: 299 – 300.

2- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. 1414هـ - 1994م. *لسان العرب*. ط3. مج6. بيروت: دار صادر. ص: 240.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

على الشيء[1]. **والمُطَاوَعَةُ**: الموافقة؛ والنحويُّون ربما سموا الفعل اللازم **مُطَاوِعَاً**، يقال: فلان حسن الطواعية لك، أي حسن الطاعة لك[2].

والطاعة في الإصطلاح: "هي موافقة الأمر طوعاً"[3]، أو هي "موافقة ولي الأمر بالإنقياد له، بقدر امتثاله لشرع الله تعالى"[4].

والطاعة من أهم القواعد الرئيسية التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام، فإذا كان نظام الإسلام يقوم على أنَّ الإخلاص لله والعدالة والمساواة والشورى وهذه القواعد متعلقة بالقادة، فإن القاعدة المكملة لهن هي الطاعة الواجبة من الرعيَّة لهؤلاء القادة، فطاعتهم تُشَكِّلُ قاعدة هامة ودعامة قوية من دعائم الحكم في الإسلام لا يمكن وجود نظام سياسي بدونها[5].

كما يجب على القادة والرؤساء وأولي الأمر أيضاً طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ حتى يكونوا قدوة صالحة لرعيتهم، فمن معالم الدولة التي يبنيها الإسلام ويرسخ جذورها في نفوس أبنائه هي

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. 1988. *مختار الصحاح*. بيروت: دار الهلال. ص: 168.

2- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. 1414هـ- 1994م. *لسان العرب*. ط3. مج 6. بيروت: دار صادر. ص: 241.

3- الجرجاني، علي بن محمد بن الحسين. *التعريفات*. ص: 182.

4- شويدح، أحمد ذياب، وآخرون . 1419هـ - 1999م . *النظم الإسلامية*. ط4. مكتبة الأمل التجارية. ص: 246.

5- المرجعُ السابق. ص: 206.

طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأُولِي الأمر، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم والسنة النبوية.

القرآن الكريم

أكد القرآن الكريم في كثير من الآيات على وجوب طاعة الله ورسوله وأولي الأمر من الحكام ومن المحكومين على حدٍ سواء، ما دام هؤلاء القادة أو الحكام عل الحق.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[2].

وقال عزَّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[3].

وجه الدلالة: رَبَطَ اللهُ تَعَالَى الطاعة بالإيمان، فلم يطلبها إلاَّ من مؤمن، لأن المؤمن يسعى إلى إبتغاء مرضاة الله تعالى، ثم أرشدت إلى وجوب طاعة الله تعالى فيما أمر به ونهى

1- القرآن. النساء 4: 59.

2- القرآن. الأنفال 8: 20.

3- القرآن. محمد 47: 33.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

عنه في القرآن الكريم، وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيما بَيَّنَ ووَضَّحْ وأَمَرَ في سنته صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الطاعة على صيغة أمر أي بمعنى الانقياد لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في عدد من آيات القرآن الكريم[1].

وذلك مما دأب عليه أنبياء الله عليهم السلام، فقد قال نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2].

وقال نبينا هود عليه السلام: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[3].

وقال نبينا عيسى عليه السلام: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

السنة النبوية الشريفة

تواترت الأخبار في السنة النبوية الشريفة في الحث على طاعة الله ورسوله، وعلى طاعة الأئمة والولاة، فمن ذلك:

1- وذلك في تسعة عشر موضعاً، وهذه السور هي: آل عمران. الآية (32 – 132)، النساء. الآية (59 مرتين)، المائدة. الآية (92 مرتين)، الأنفال. الآية (1، 20 ،46)، طه. الآية (90)، النور. الآية (54 مرتين، 56 مرة واحدة)، محمد. الآية (33 مرتين)، المجادلة. الآية (13)، التغابن. الآية (12 مرتين، 16 مرة واحدة).

2- القرآن. الشعراء 26: 107 – 110.

3- القرآن. الشعراء 26: 125 – 126.

4- القرآن. آل عمران 3: 50.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

عن إبن عُمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ مَاتَ ولَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَقَدْ نَزَعَ يَدَهُ مِنْ بَيْعَةٍ كَانَتْ مِيتَتُهُ مِيتَةَ ضَلَالَةٍ"[1].

وجه الدلالة: يتبين من الحديث الشريف أنَّ الطاعة هنا، هي طاعة الله سبحانه وتعالى، أمَّا البيعة وبحسب السياق، هي بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وهي تعني بيعة الله، فهي المحققة لطاعته سبحانه وتعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي"[3].

وجه الدلالة: يهدف الحديث إلى توضيح أنَّ الله سبحانه وتعالى أمر بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وبدوره أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الأمير، فتلازمت الطاعة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- صحيح مسلم. *كتاب الإمارة. باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن*. 1487/3. حديث رقم: 1851.

2- القرآن. النساء 4: 80.

3- صحيح مسلم. *كتاب الإمارة. باب وجوب طاعة الأمراء في غير طاعة معصية وتحريمها في المعصية*. ح: 4724.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم"عَلَيْكِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكِ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ"[1].

وجه الدلالة: السمع هنا يرجع إلى الطاعة، وإن الطاعة تكون عند النشاط والتحمس له، وتكون في العسرة والشدة، كما تكون في الرخاء واليُسر، والطاعة كذلك حتى وقت كراهية الفعل لذلك[2]، فالطاعة واجبة لمن تكره مثلما هي واجبة لمن تحب، فإذا رأيت من ولي الأمر شيئاً تكرهه فلا يُؤدِّيَن بك إلى خلع طاعته، بل إصبر على ما تكرهه منه ولا تنزعنَّ يداً عن طاعة؛ ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في ذلك: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شيئاً فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَيَمُوتُ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[3].

وجه الدلالة: الصبر على ما يقع من الأمير مما يكره المرء، فالصبر هو حبس النفس عن الجزع والسخط واللسان من التشكي، والجوارح عن المعاصي؛ كلطم الخدود وشق الجيوب ونحوها[4]، والصبر كذلك من أعظم الكلمات والأحوال التي إمتدحها القرآن الكريم ويكرر الأمر

1- صحيح مسلم. كتاب الإمارة. *باب وجوب طاعة الأمراء في غير طاعة معصية وتحريمها في المعصية*. ح: 4731.

2- المراكبي، جمال أحمد السيد جاد. 1414هـ - 1995م. *الخلافة الإسلامية بين أنظمة الحكم المعاصرة*. القاهرة: مطابع إبن تيمية. ص: 209.

3- البخاري. خان، محمد محسن. 1997. حديث البخاري. الرياض: دار السلام. *كتاب الأحكام. باب السَّمعِ وَالطَّاعَةِ ما لَم تَكُن مَعصِيَةٌ*. مج9. ص: 162. ح: 7143.

4- ابن الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب. 1415هـ - 1994م. عُدة الصابرين ونخبة الشاكرين. ط1. المنصورة: مكتبة الإيمان. ص: 15.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بها حتى بَلَغَ قُرابة السبعين موضعاً من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِينَ﴾[1]، فهو الزاد الذي لا بد منه لمواجهة كل مشقة[2].

أما المفارقة فالمراد بها، السعي لحل عقد البيعة التي حصلت لذلك الإمام أو الأمير، ولو بأدنى شيء، فكنى عنها بمقدار الشِبر؛ والمراد بالجاهلية،حالة الموت كموت أهل الجاهلية، على الضلالة، كما أنَّ المُرادَ هنا ليس أن يموت كافراً بل عاصياً.

وعن مسلم بن عَبْدِ الله بن عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ للهُ عَنْهُما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةً لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[3].

وَعَن الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "اسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسُهُ زَبِيبَةٌ"[4].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- القرآن هود 11: 115.

2- الطبطبائي، محمد حسن. 1974. *الميزان في تفسير القرآن*. ط3. بيروت: مؤسسة الأعلمي. ص: 394.

3- صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة. ح: 4770.

4- البخاري. خان، محمد محسن.1997. *حديث البخاري*. الرياض: دار السلام. *كتاب الأحكام. باب السَّمعِ وَالطَّاعَةِ ما لَم تَكُن مَعصِيَةً*. مج9. ص: 162.ح: 7142.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثَلَاثَـةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، رَجُلٌ فَارَقَ الجَمَاعَـةَ وَعَصَى إِمَامَـهُ وَمَاتَ عَاصِياً"[1].

أوجه الدلالة: قيد هذه الأحاديث الشريفة تُبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أمر بطاعة الأئمة والولاة، حُرمة الخروج عليهم، وإنْ جاروا، لما في ذلك من المحافظة على الكلمة، ولما في الإفتراق من ضعف ومذلة، وتبرأ صلى الله عليه وسلم من يفارق الجماعة وتوعدهم بالوعيد، وأنهم ليسوا على سنته، ونهجه القويم، كما أنَّ طاعة الأمير ليس في شخصه بل هو لمنزلته في القيادة،وهذه الطاعة مرتبطة كما أوردناه عند الإستدلال بالآيات الكريمة التي حثت على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بما في الكتاب والسنة دون غيرهما.

وهكذا نرى أن الشريعة الغراء أقرت هذه القاعدة العظيمة وأكدت عليها تأكيداً جازماً، وخاصة طاعة القادة وأُولِي الأمر من المسلمين، لأنه لا يكون هناك قيمة للأحكام والأوامر والنواهي التي تصدر من القادة أو الولاة إذا لم يكن هناك سمعٌ وطاعة والتزام من الرعية بهذه الأحكام، وتعم الفوضى[2]، فاعتبر الإسلام طاعتهم فريضة دينية،ودعامة أساسية من دعائم الحكم السياسي في الإسلام؛ لذا أوجبها على المسلمين حتى يستقيم حال الأمة،وتتماسك قوية في بُنْيَانِهَا.

1- البخاري. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت:256هـ). 1409هـ - 1989م. *البخاري في الأدب المفرد*. ط3. تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد. بيروت: دار البشائر. *كتاب المريض. باب البغي*.1: 207. ح: 590.

2- شويدح، أحمد ذياب، وآخرون. 1419هـ- 1999م. *النظم الإسلامية*. ط4. مكتبة الأمل التجارية. ص: 207 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل من طاعة الولاة واجبة وأكد هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه من الأهميةِ بمكان بيان أن هذا الوجوب للطاعة ليس مُطلقاً، فليس ثَمَّةَ طاعة مُطلقة إلاَّ لله سبحانه وتعالى؛ لأنه صاحب الحكم والتشريع.

أَمَّا طاعة القادة وولاة الأمر من المسلمين فهي مقيدة بمدى تطبيق الشريعة الإسلامية، وأن الطاعة تكون في المعروف؛ وفي حدود الاستطاعة، فطاعة القادة أو من يولي أمراً من أمور المسلمين مُنوطة ومُقيدة بثلاثة شروط هي:

1- تطبيق منهج الله تعالى: وذلك بالتزام أوامره، وإرساء تعاليمه، والحكم بالعدل والمساواة بين الرعية، وأداء الأمانات إلى أهلها؛ فإذا ما نكصوا وتنكروا لذلك، فلا طاعة لهم.

2- ألاَّ يأمروا بمعصية: إذا ما قام القادة بإصدار أوامر تتناقض وشريعة الله، كأن يؤمر رعيته بمعصية الله سبحانه وتعالى في أمور الربا، وشرب الخمر، والرشوة وغيرها من الأمر التي تتنافي مع الشريعة الإسلامية، فلا طاعة له، إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، فعن عَبْدِ اللهِ بن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قال: "السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلى المرْءِ المسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَة"[1].

وعن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سَرِيَّةً، فَاسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمْ النَّبِي صلى الله عليه وسلم

1- البخاري. خان، محمد محسن. 1997. حديث البخاري. الرياض: دار السلام. كتاب الأحكام. باب السَّمعِ والطَّاعةِ ما لم تكن مَعصيَةً. مج 9 .ص: 163.ح: 7144.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا بَلَى: قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَاراً فأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهَمْ يُمْسِكُ بَعْضًا،وَيَقُولُون: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتْ النَّارُ فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"[1].

3- أن تكون الطاعة في حدود استطاعتهم: ونستدل في ذلك بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2].

ومن الأحاديث الشريفة التي تدل على أن الطاعة لا تكون إلاَّ في حدود الاستطاعة، فقد روى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا: "فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ"[3]، وقولُهُ صلى الله عليه وسلم: "عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ"[4].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- صحيح مسلم. كتاب الإمارة . باب وجوب طاعة الأمراء في غير طاعة معصية وتحريمها في المعصية. ح: 1840 .

2- القرآن. البقرة 2: 286.

3- البخاري. خان، محمد محسن .1997. حديث البخاري. الرياض: دار السلام .كتاب الأحكام. بابُ كَيفَ يُبَايِعُ الإِمامُ النَّاسَ. مج 9. ص: 197. ح: 7202.

4- صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره. حديث رقم: 782/1302.

القاعدة الخامسة: الشورى

الشورى لغةً: من الفعل (**شور**)، أي عرض الشيء وإظهاره، **والشارة والشور**: أي حسن الهيئة واللباس والزينة والجمال[1]، **واستشار أمره** إذا تَبَيَّنَ واستنار[2]، والشورى من شور العسل: **يشوره شوراً**، أي استخرجه من موضعه[3].

والمشوار: هو المكان الذي تعرض فيه الدواب، وقيل **استشارت الإبل**: أي سمنت وحسنت هيأتها، والمشوار: ما أبقت عليه الدابة من علفها، **وشيار**: هو يوم السبت عند العرب قبل الإسلام، والشورى: نبات بحري، **والمشيرة**: السبَّابة، **وشوران**: جبل مطل على عقيق المدينة المنورة، على ثمانية أميال منها، **والمشوار** وتر **يشور** به القطن أي يقلب.

وتأتي بمعنى **وزيرك شيرك**: أي شخص يصلح للمشاورة، واستخراج الرأي، والمستشار العليم الذي يُؤْخَذُ رأيه في أمر معين، والمستشير هو كل قاصد لغرض يهمه التعرف عليه، والمشورة: ما ينصح به من رأي وغيره، وأحسن ما قيل في المشورة، قول الشاعر بشَّار بن برد[4]:

إذا بلغ الرأي مشورة بحزم نصيح أو نصيحة حازم

1- الرازي، أبو بكر زين العابدين بن عبدُ القادر. 1987. *مختار الصحاح*. ط1. بيروت. دمشق: دار الفكر. ص: 350.

2- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.1414هـ-1994م. *لسان العرب*. ط3.مج 6. بيروت: دار صادر. ص: 250.

3- الرازي، أبوبكر زين العابدين بن عبد القادر. *1987م. مختار الصحاح*. ط1. بيروت. دمشق: دار الفكر. ص:350.

4- بشار بن برد العقيلي (أبو معاذ): ولد عام 77هـ - 696م، شاعر فارسي أصله من طخارستان غربي نهر جيحون، أدرك الدولة الأموية والعباسية، واُتُهِمَ بالزندقة في عهد محمد المهدي العباسي، فَضُرِبَ بالسياط ومات نتيجة ذلك، توفي بالبصرة عام: (167هـ-783م).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

ويقصد بالشورى اصطلاحاً: مشورة الخليفة وأولي الأمر للفقهاء وأهل الفتوى والعلماء، فيما أشكل عليهم من الأحكام خارج النص.

وفي تعريف معاصر للشورى يقول الترابي: "شار بمعنى عرض، والمشاورة هي التناصح، والاستشارة هي طلب الرأي، بينما الشورى في الإسلام هي النهج اللازم لأمر المؤمنين العام استدلالاً بقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]"[2].

مما سبق تناوله بخصوص مدلول كلمة الشورى نجد أن معانيها اللغوية والاصطلاحية تتفق جميعاً في استخراج الشيء ووضوح أمره، وبيان هيئة الشيء، ومن استخراج العسل أو استخراج الرأي الصواب، ومزج الآراء لأخذ النصيحة، مع عدم الالتزام برأي معين من شخص ما بل أخذ الآراء ونظر المستشير في أصلحها.

أما الشورى في الإسلام فهي قاعدة أساسية من قواعد النظام السياسي الإسلامي، وهي من أهم قواعد الشريعة الإسلامية التي حثَّ عليها القرآن الكريم على تطبيقها، وقد مارس الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مبدأ الشورى عملياً مع صحابته الكرام في مواقف متعددة كيوم غزوة بدر، ويوم أُحُدْ، وفي غزوة الخندق، وفي حادثة الإفك وغيرها.

1- القرآن الشورى 3: 38.

2- الترابي، حسن. 2001. *المصطلحات السياسية في الإسلام*. ط1. بيروت. دمشق: دار الساقي. ص: 20.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وتتجلى أهمية الشورى في الإسلام واهتمام القرآن الكريم بها، في تسمية إحدى سور القرآن بها، والتي بيَّنَت أهم صفات وخصائص المسلمين المميزة لهم، فقد أوردت سورة الشورى، وتحديداً في آياتها: (36-43) اثنتي عشرة صفة أساسية للمسلمين هي: الإيمان، التوكل، اجتناب كبائر الإثم والفواحش، والمغفرة عند الغضب، والاستجابةِ لله، وإقامة الصلاة، والشورى، والإنفاق في سبيل الله، والانتصار من البغي، والعفو، والإصلاح، والصبر.

ولقد تناول القرآن الكريم الشورى بشكلٍ مباشر في ثلاث آيات تضمنت ثلاث مواضع مختلفة: اجتماعية ودينية وسياسية حربية، وهي على النحو التالي:

1- الشورى كموضوع اجتماعي في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، أي إن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل السنتين، ورأيا أن في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه، بهذا فإن الآية الكريمة تعالج قضية اجتماعية تهم الأسرة منعاً لاستبداد الأب أو الأم بحق الأطفال.

1- القرآن البقرة 2: 233.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

2- الشوري كموضوع ديني، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، تحدثت هذه الآية عن صفات المؤمنين،، وهي الآية التي نزلت في أهل المدينة من الأنصار، حيث كانوا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم إذا نزل بهم أمر اجتمعوا وتشاورا، فأثنى الله عز وجل عليهم فمدحهم الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تشاور الأنصار عندما سمعوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وورود النقباء إليهم، حتى اجتمع رأيهم في دار خالد بن يزيد بن كليب[2]، فتحدثت الآية عن المجتمع المسلم وصفات المؤمنين لتكون الشورى عنصراً من عناصر الشخصية الإيمانية، وهي تُعَبِّرْ عن صفة المؤمنين، مع اقران الشورى بالإيمان والصلاة والإنفاق في سبيل الله.

3- الشورى كقضية سياسية حربية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]، عالجت هذه الآية قضية سياسية حربية هي هزيمة المسلمين في غزوة أُحُد (2هـ -624م)، بعد مشاورته صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام في الخروج، فوقعت الهزيمة، وخاطب الآية كذلك الرسول صلى الله عليه وسلم﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، وقيل أيضاً بأن الله سبحانه أمر نَبِيَّهُ محمد صلى الله عليه وسلم أن

1- القرآن. الشورى 42: 38.

2- خالد بن يزيد بن كليب(أبو أيوب الأنصاري): صحابيٌ جليلٌ نزل عنده الرسول صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة المنورة فأقام شهراً حتى بُنِيَ مسجد قباء، كما شهد بدراً عام2هـ (623م) وسائر المشاهد، وشهِدَ مع علي بن أبي طالب حرب الخوارج عام 38هـ(658م)، وغزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية عام 52هـ(672م) واستشهد في الغزو ودُفِنَ هناك.

3- القرآن. آل عمران 3: 159.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يشاور المسلمين في الحرب تطيباً لنفوسهم، ورفعاً لأقدارهم، وتألفاً على دينهم، وحتى لا يثقل عليهم باستبداده بالرأي دونهم.

والشورى وفقاً للرؤية الإسلامية هي: "مبدأ إنساني وإجتماعي وأخلاقي، إلى جانب كونها قاعدة لنظام الحكم"، ويمكن تعريفها سياسياً بأنها: "حق الجماعة في الإختيار وتحمل مسؤولية قراراتها في الشؤون العامة".

من جانب آخر فقد اختلف فقهاء الأمة الإسلامية حول حكم الشورى بالنسبة للحكام على قولين:

القول الأول وأدلتهم: يرى أن الشورى واجبة على الحكام ويستدلون في ذلك إلى الكتاب المبين وعلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم:

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]، فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾، يقتضي الوجوب، وهي نص قاطع لا يدع مجالاً للشك من أن الشورى مبدأ إسلامي لا يقوم نظام الإسلام على سواه.

1- القرآن. آل عمران 3: 159.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، قرنت الآية الكريمة بين المسلمين بإقامة الصلاة، فَدَلَّ ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، والصلاة واجبة شرعاً، فكذلك الشورى واجبة شرعاً. وَدَلَّ ذلك على أنه إذا كانت الصلاة فريضة عبادة، والزكاة فريضة اجتماعية، فإن الشورى فريضة سياسية.

السنة النبوية الشريفة

استدل الفقهاء على وجوب الشورى بمواظبته صلى الله عليه وسلم، والتي منها: مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في غزوة بدر بخصوص الخوض في المعركة، وفي النزول عند ماء بدر، واستشارته في شأن أسرى غزوة بدر، كذلك الحال ينطبق هنا بشأن البقاء أو الخروج لملاقاة المشركين بغزوة أحد، فقد استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في ذلك.

القول الثاني وأدلتهم: استدل القائلون بأن الشورى مندوبة للحاكم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة، وأن الأمر في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[2] للندب وليس للوجوب، فقد نقلت لنا كتب السيرة والتاريخ من أن الشورى لو كانت واجبة لفعلها النبي

1- القرآن. الشورى 42: 38.

2- القرآن. آل عمران 3: 159.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

صلى الله عليه وسلم في كل الأمور وواظب على إعادتها، ولكنه صلى الله عليه وسلم ترك المشاورة في مسائل أخرى كبيرة كصلح الحديبية، وقتاله بني قريضة.

رأي الباحث

بعد النظر إلى أقوال الفريقين، وأدلتهم، يتيقن للباحث صحة ورجحان القول القائل: إن الشورى واجبة، وذلك يرجع لعدة أسباب متمثلة في التالي:

1- قوة أدلة الفريق الأول، وسلامتها من أي اعتراضات حقيقية.

2- إذا سلمنا جدلاً أن الشورى مندوبة، فهذا حتماً سيقود إلى استبداد الحكام واستئثاره بالحكم وانفراده بتقرير مصير الأمة بأسرها.

3- ترك الشورى يفقد الأمة الكثير من كفاءات أبنائها وقدراتهم والتي كان من الممكن الاستفادة منها.

كما أنَّ للشورى في حياة المجتمع العديد من الفوائد أهمها[1]:

1- إن الشورى طريقة إلى وحدة الأمة الإسلامية، ووحدة المشاعر الجماعية، فمن خلالها يتم عرض المشكلات العامة، وتبادل للرأي والحوار.

1- الحبل، مشير عمر خميس. 1424هـ- 2003م. الحياة *السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة: دراسة مقارنة*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه المقارن). الجامعة الإسلامية: غزة. ص: 33.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

2- الشورى خير وسيلة للكشف عن الكفاءات والقدرات، وتحقيق الأفراد لذاتهم، مما من شأنه أن تستفيد الأمة من كافة طاقات أفرادها، ولا سيما في شؤون الحكم والسياسة.

3- الشورى آلية للتوصل إلى توافق بخصوص اختيار البديل الأمثل من بين عدة خيارات مطروحة، فقلب الشورى هو المشاركة في القرار السياسي وغيره، وهي آلية المشاركة مع الإبقاء على التعددية والتمايز.

4- إنها وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة، وتدريبها على تحمل التبعات، كما أنها تعلِّم الأفراد على العطاء، وعلى الانتماء لجماعتهم ووطنهم، وتحمل مسؤولية تجاه هذه الجماعة.

5- تُدرب الشورى المستشار على المساهمة في الحكم، وتثريه بالتجربة وجودة الرأي والتفكير من خلال ممارسته للشورى.

6- إن ممارسة الشورى في كل جوانب الحياة يمثل للأمة المسلمة مدرسة تستطيع من خلالها تحقيق آراء قوية وسديدة توصلها إلى طريق النصر والتمكين، كما نال منها المسلمون الأوائل.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الشورى والديمقراطية المعاصرة

الديمقراطية (Democracy): يعود أصل الكلمة إلى اللغة الأثينية القديمة وتعني الحكم بواسطة الشعب، والكلمة مركب من كلمتين يونانيتين هما: Demos وتعني الشعب، وكلمة Kratien وتعني الحكم فتصبح الكلمتان عند دمجهما ببعض حكم الشعب.

وفي عالمنا المعاصر تبنت العديد من الدول النظام الديمقراطي بصوره المتعددة إذ أن هنالك ثلاثة أنواع من الديمقراطيات في العالم وهي الديمقراطية المباشرة، والغير مباشرة (أو ما أصطلح بتسميتها بالديمقراطية النيابية)، وشبه المباشرة.

وبدون الدخول في أقوال المفكرين المسلمين بخصوص التقارب والتباعد حول مفهومي الشورى والديمقراطية، يمكن القول هنا إن من حقنا اقتباس ميزات الديمقراطية، فالإسلام قد سبق الديمقراطية بتقرير القواعد التي يقوم عليها جوهرها، ولكنه ترك التفصيلات لاجتهاد المسلمين وفق أصول دينهم، ومصالح دنياهم، وتطور حياتهم بحسب الزمان والمكان، وتجدد أحوال المسلمين[1]، ولكن لا يعني ذلك أن نحكم على الديمقراطية في حياتنا على إطلاقها، وندع إسلامنا، أو نترك الشورى التي تمثل قيمة إسلامية عليا في حياة الأمة: ﴿أَفَحُكْمَ

1- الحبل، مشير عمر خميس. 1424هـ-2003م. *الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة: دراسة مقارنة*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه المقارن). الجامعة الإسلامية: غزة. ص: 35.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]، ويمكننا تحدي أهم نقاط الاختلاف بين الشورى والديمقراطية المعاصرة في التالي:

1- إن الديمقراطية المعاصرة تمثل نظاماً للحكم فقط، يهدف إلى إقامة سلطة يكون الشعب هو الممارس لها، ودون أن يأخذ بالاعتبار أي أسس دينية، ولا مجال بالطبع في الإسلام لحكم شعبي منقطع عن معاني الإيمان؛ لأن الدين الإسلامي دين توحيدي يحيط بالحياة، ويضفي عليها جميعا معنى العبادة، وينظمها بشريعة شاملة[2].

2- إن الشورى نظام إيماني قائم على قواعد المنهاج الرباني وهي رسالة إلى الناس جميعاً تحمل صفة الشمول، وتعد منهجا صالحاً للتطبيق في كل عصر و زمان، أما الديمقراطية فهي تجربة بشرية محصورة بمدى استيعابها، ومحدودة بمدى إيفائها لمتطلبات الحياة ومواءمتها لمتغيرات العصر.

3- إن سلطة الأمة في الديمقراطية المعاصرة مطلقة فالأمة -حقاً وعلى الإطلاق- هي صاحبة السيادة، وهي أو المجلس الذي تنتخبه التي تضع القانون، أو تلغيه، ولكن في الشورى

1- القرآن. آل عمران 3: 159.

2- عالية، سمير. 1418هـ - 1997م. *نظام القضاء والعرف في الإسلام: دراسة مقارنة*. ط1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ص: 97- 98.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ليست سلطة الأمة مطلقة هكذا، وإنما هي مقيدة بالشريعة، ولا تستطيع أن تتصرف إلاَّ في حدود هذا القانون[1].

4- إن الشورى الإسلامية مرتبطة بقيم أخلاقية نابعة من الدين نفسه، ولذلك فهي ثابتة غير خاضعة لتقلبات الميول والرغبات، ومن ثم فهي تضبط تصرفات الأمة ورغباتها، بينما لا تستند الديمقراطية المعاصرة إلى مثل هذه القيم الثابتة، بل هي قيم نسبية تتحكم فيها رغبات وميول الأكثرية[2].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- علي، حيدر إبراهيم. 1996م. *التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية*. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص: 162.

2- الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل. 1416هـ- 1996م. *الشورى وأثرها في الديمقراطية: دراسة مقارنة*. ط1. دار الفكر العربي. ص: 428.

المبحث الثاني: الحريات السياسية في الإسلام

قرر الإسلام الحريات السياسية في كل نظمهِ ومبادئه، واولاها كل عناية واهتمام، فمن مظاهر عنايته بهذه الحريات، أنه كَفَلَ للشعب الحرية في اختيار القائد ورقابة اعماله وعزله من منصبه متى ظهرت أسباب ذلك، كما وضع لها بعض الضوابط الهامة التي لاينبغي أن تخرج عنها أو تتجاوزها، إلاَّ أنه وقبل الشروع في بيان عناية اهتمام الإسلام بالحريات السياسية، يجدر بنا أن نعرف أولاً مفهوم الحرية لغةً واصطلاحاً.

المطلب الأول: مفهوم الحريات السياسية

جعل الإسلام الحرية حقاً من الحقوق الطبيعية للإنسان، فلا قيمة لحياة الإنسان بدون حرية، وحين يفقد المرء حريته فإنه يموت داخلياً، ولقد بلغ اعتناء الإسلام بشأن الحرية أن جعل السبيل إلى إدراك وجود الله تعالى العقل الحر، الذي لايجعل الإيمان بوجوده يتأثر بقوى خارجية كالخوارق والمعجزات.

قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوت وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، فهذه الآية تضمنت نفي الإكراه في الدين وهو أعز شيء يملكه الإنسان، وهذا فيه دلالة على نفي

1- القرآن. البقرة 2: 256.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الإكراه فيما سواه، وأنَّ الإنسان مُستقل فيما يملكه ويقدر عليه، فلا يفرض عليه أحد سيطرته، بل يأتي هذه الأمور راضياً غير مجبر، مختار غير مكره.

ولغةً فإن الحرية: مأخوذة من الحر – بالضم – نقيض العبد، والجمع أحرار، والحرة نقيض الأمة، والجمع حرائر، والحرة: هي الكريمة من النساء[1].

وتأتي كلمة الحرية بمعنى الخلوص من الشوائب والرق أواللؤم[2]، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[3].

قال القرطبي: "محرراً: أي عتيقاً خالصاً لله تعالى، خادماً للكنيسة ومفرغاً لعبادة الله وقد كان ذلك جائزاً في شريعتهم"[4].

والأحرار من الناس: أخيَارهم وأفاضلهم، ويقال: طين حر: أي لا رمل فيه، و رملة حرة أي لا طين فيها[5].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. 1994. *لسان العرب*. مادة حرر: باب الراء: فصل الحاء. ص: 181.

2- الزمخشري. *أساس البلاغة*. ص: 79.

3- القرآن. آل عمران 3: 35.

4- البغوي، الحسين بن مسعود. *تفسير البغوي: معالم التنزيل*. مج1. دار طيبة. ص: 30.

5- العبيدي، خالد. 2006. *مفهوم الحرية الشخصية*. ج1.

أمَّا **الحرية اصطلاحاً** هي: "الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار"[1].

والحرية اصطلاحاً كذلك هي: " أن تكون للإنسان الخير في أن يفعل ما يريد بشرط عدم الإضرار بالآخرين"[2].

ولقد أقرَ الإسلام الحرية السياسية في كل نظمه ومبادئه، كما عرف الإسلام هذا المفهوم تطبيقاً وعملاً منذُ وُجِد، فمن مظاهر عنايته بالحريات السياسية في الدولة الإسلامية، أنه كفل للشعب الحرية في اختيار رئيس الدولة، ورقابة أعماله، وعزله عن منصبه متى ظهر منه أسباب ذلك وقبل الحديث عن ذلك يجدر بنا أن نضع تعريفاً واضحاً لمفهوم الحرية السياسية[3].

إنَّ الحرية السياسية تعني: "أن يكون للشعب صاحب الكلمة في شؤون الحكم وفق الشريعة الإسلامية"، ويتم ذلك بالمشاركة في هذه المسئولية إما بطريق مباشر أو باختيار ممثلين، والحرية السياسية تعني كذلك أن يلتزم الحاكم مبدأ الشورى، وقد أمر الله تعالى الرسول الكريم أن يشاور المسلمين، وألاَّ يبرم أمراً دونهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ

1- الجرجاني، علي بن محمد بن الحسين. التعريفات. ص: 91.

2- عطية الله، أحمد عطية الله. 1968. القاموس السياسي. ط3. القاهرة: دار النهضة العربية. ص: 458.

3- فرج، صلاح الدين طلب. ص: 40 – 41.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المتَوَكِّلِينَ﴾[1].

كما مدح الله المؤمنين الذين يقررون هذا المبدأ فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[2].

والإنسان المسلم يستشعر ويحس بقضايا الأمة، ويتفاعل مع أحداثها ، ويسهم في جلب المصالح العامة ودرء المضار والمفاسد، وقد جاء ذلك واضحاً في الحديث الشريف الذي قَرَّرَ ونظم الروابط الإنسانية والإسلامية والأخوية بين المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[3].

ضوابط الحرية السياسية

إذا سلمنا جدلاً من أن الإسلام أفسح المجال لكل مواطن مسلم في الدولة، وأعطاه الحق في التعبير عن نفسه ورأيه في شكل وأسلوب الحكم أو حتى في الحاكم نفسه، وأن يكون له رأي في ذلك، يدلي به دون أن يخشى من وراء ذلك ما يجر عليه من أدى وابتلاء هو في غنىً عنه -إذا كان الأمر كذلك- فإن الحرية السياسية في الإسلام مرتبط ببعض الضوابط الهامة، والتي لا ينبغي أن تخرج عنها أو تتجاوزها، وهذا يدل على أن الشريعة الإسلامية تجمع

1- القرآن. آل عمران 3: 135.

2- القرآن. الشورى 42: 38.

3- البخاري. خان، محمد محسن.1997. حديث البخاري. الرياض: دار السلام .كتاب الإيمان. باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. مج 9. ح: 7142.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بين الحرية والتقييد، فالأصل هو الحرية في إبداء الرأي والمناقشة وذلك مقيد بما يمس الأخلاق والآداب والنظام[1]، على النحو الأتي:

1- التزام الأدب في المناقشة وتقدير كلام الآخرين

وقد كان هذا المبدأ واضحاً جلياً في حياة الصحابة رضي الله عنهم، وفي تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم معهم، ويظهر ذلك من خلال سيرته وغزواته صلى الله عليه وسلم وهنا نأخذ غزوة بدر مثلاً لذلك، فعندما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين في أدنى ماء بدر أراد الصحابي الجليل الحباب بن المنذر الخزرجي أن يوضح رأيه، فقال "وقال له: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال النبي عليه السلام: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال ابن المنذر: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملك ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون"؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأي"[2].

2- الابتعاد عن المجادلة التي تؤدي إلى العداوة والبغضاء

1- بابللي، محمود محمد. 1411هـ - 1990م. *الإنسان وحريته في الإسلام*. ط1. الرياض: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة. ص: 175.

2- ابن هشام، جمال الدين بن عبد الملك بن هشام بن أيوب. *السيرة النبوية*. ج2. ص: 260.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وجه الدلالة: وفي هذا تنبيه من الله عز وجل إلى ضرورة المسامحة والصفح من الداعية لقاء ما يناله في سبيل دعوته وألا يكون ذلك سبباً في وجود العداوة والبغضاء بين الدعاة والمدعوين، بل يجب على الفرد في الدولة الإسلامية مراعاة المبادئ الإسلامية، فلا يطعن في إسلامه أو دينه وعقيدته بحجة الرأي[2].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

وَحَذَّرَتْ السنة النبوية المشرفة من المراء والمجادلة لما فيهما من إيذاء الآخرين، فقال صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربضِ الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً"[4].

3- الابتعاد عن الواقع في الفتنة وتفرقة صف المسلمين

القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة حذرت من أن تؤدي الحرية السياسية أو أي نوع من أنواعها إلى الوقوع في الفتنة وتفريق صف المسلمين ودليل على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[1].

1- القرآن. النحل 16: 125.

2- زيدان، عبد الكريم. 1405هـ - 1985م. *الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية*. الرياض: مطبعة الفيصل الإسلامية. ص: 79.

3- القرآن. العنكبوت 29: 46.

4- سنن أبي داود. *كتاب الأدب. باب حسن الخلق*. 253/4. ح: 4800.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أهل بدر خاصة، فأصابتهم الفتنة يوم الجمل فاقتتلوا، وكان ذلك سنة ست وثلاثين من الهجرة، فلما تمت البيعة لعلي استأذنه طلحة والزبير في الخروج إلى مكة، واجتمعوا في مكة كلهم، وكان معهم مروان بن الحكم، واجتمعت بنوا أمية ثم أرادوا الشام فالتقى الفريقان في الكوفة، ونادى على طلحة ماذا تطلب؟ قال دم عثمان، ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق في صفين.

وأشار الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف أن الحرية إذا لم تطبق وفق المعالم والضوابط المرسومة لها فهي الهلاك والدمار، فعن النعمان بين بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على السفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"[2].

المطلب الثاني: أهم الحريات السياسية التي كفلها الإسلام

قرر الإسلام الحرية السياسية في كل نظمه ومبادئه، وعمل بها منذ أن ظهر، وهي ليست هَبةٌ من أحد، بل هي جزء أصيل من صميم هذا الدين، كفلها بكل معانيها، فحث ولاة الأمر على ممارستها ممارسة جادة في واقع الحياة السياسية.

1- القرآن. الأنفال 8: 25.

2- صحيح البخاري. *كتاب الشركة. باب هل يقع القسمة في والإسهام* .749/2. حديث رقم: 2493.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ويقصد بالحرية السياسية: أن تكون الأمة صاحبة السيادة العليا في شئون الحكم، سواء كان عن طريق اختيار الحاكم ومراقبته ومشاركته، أو في عزله[1].

ولعل من أهم مظاهر عناية الإسلام بالحريات السياسية في الدولة الإسلامية، أنه كَفَلَ للشعب الحرية في اختيار رئيس الدولة، ورقابته بل وحتى عزله من منصبه متى ظهرت أسباب ذلك.

وسوف نتحدث عن بيان عناية الإسلام بالحريات السياسية المتمثلة في: حرية اختيار رئيس الدولة، ومشاركته، ومراقبته، ثم أختم حديثي بالحديث عن حريتين أُخريين، لما لهما من ارتباط مباشر، وعلاقة وثيقة بالحرية السياسية، إذ لا قيمة للحرية السياسية بدونهما، وهما: حرية الرأي والاعتقاد، مع الخروق بإيجاز عن مفهومي التعددية والمعرضة السياسية في الإسلام.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أولاً– حق الأمة في اختيار رئيس الدولة

الأمة هو صاحب الشأن في اختيار رئيس الدولة، فمن اختارته لهذا المنصب كان له الحق بالقيام بمهام رئاسة الدولة الإسلامية، ويتولى أمرها، في تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى

1- وافي، عبد الواحد. 1999. *حقوق الإنسان في الإسلام*. ط6. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر. ص: 185.

في الأرض، فيقيم الحدود، ويرعى مصالح المسلمين، ويدود عن حياضهم، ويدافع عن حوزتهم، ويكسر شوكة أدائهم، وينشر دين الله في مشارق الأرض ومغاربها.

ويستمد هذا الحق أساسه من أَنَّ الأمة مسئولة عن تنفيذ أحكام الشرع، وخاطبها الإسلام بوجوب إدارة شؤونها وفقاً للأحكام الشرعية.

أولاً: القرآن الكريم

1- قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1].

2- قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[2].

3- وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾[3].

تدل هذه الآيات الكريمة على أن الأمة بمجموعها هي المسئولة عن تنفيذ قانون شريعة الله، وتسيير شئون الناس جميعاً.

1- القرآن. التوبة 9: 71.

2- القرآن. النساء 4: 135.

3- القرآن. المائدة 4: 38.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وبما أنه يتعذر على الأمة مباشرة جميع سلطاتها، وقيامها بواجب التنفيذ بصورتها الجماعية، فقد تحتم عليها الإنابة فيه، بأن تختار الإمام أو الحاكم، ليزاول ما تملكه من سلطة نيابية عنها، وينفذ ما هي مكلفة به شرعاً[1].

ثانياً: السنة النبوية الشريفة

عن سعيد بن الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ"[2].

وجه الدلالة: إن هذا الحديث وأمثاله يدل على وجوب الأمة تنصيب رئيس للدولة، يدير شؤونها، ومبايعته على ذلك، فقوله صلى الله عليه وسلم: "فَلْيُؤَمِّرُوا": أمراً للأمة جميعاً إلاَّ أنه وَرَدَ بصيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر.

ثالثاً: أقوال الفقهاء في تقريرهم لهذا الحق

أكد الفقهاء على أنَّ اختيار رئيس للدولة الإسلامية واجب على الأمة، وأن تنصيب رئيس للدولة هو من الأعمال السياسية التي تُناط بالمسلمين.

فيذكر الماوردي أنه عندما: "استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش مؤتة زيد بن زيد بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "إِنْ قُتِلَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ

1- البياتي، منير حميد. 1414هـ 1994م. *النظام السياسي في الإسلام مقارنة بالدولة القانونية*. عمّان: دار البشير. ص: 223.

2- رواه أبي داوود. سنن أبي داوود . *كتاب الجهاد. بابٌ في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم*. ح: 2608.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فَعَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ، فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ المسْلِمُونَ رَجُلاً"[1] فاختار المسلمون بعده خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فإذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الإمارة "جاز مثله في الخلافة"[2]. ففي هذا الحديث تشريع للأمة يمنحها حق اختيار الحاكم.

وقال ابن خلدون: "تنصيب الإمام واجب قد عرف وجوبه من الشارع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يُترك الناس فوضى في عصر من الأعصار"[3].

وبَيَّنَ ابن قدامة هذا الحق بقوله: "من اتفق المسلمون على إمامته وبيعته، ثبتت إمامته، ووجبت معونته"[4].

فأقوال العلماء هذه وغيرها تؤكد على حق الأمة في اختيار الحاكم ومبايعته، وأنها الموكلة بهذا الجانب.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- ابن قدامة، موفق الدين. 1997. *المغني*. ط3. ج5. تحقيق: التركي، عبد الله بن عبد المحسن. دار عالم الكتب. ص: 9

2- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:450). 1393هـ - 1973م. *الأحكام السلطانية*. دار الحلبي وابناؤه. ص: 13.

3- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي . 1425هـ - 2004م. *تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" المقدمة"* . ط1. تحقيق: الطاهر، حامد أحمد. القاهرة: دار الفجر للتراث. ص: 244.

4- الحبل، مشير عمر خميس. 1424هـ - 2003م. *الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة: دراسة مقارنة*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه المقارن). الجامعة الإسلامية: غزة. ص: 45.

ثانياً- حق مشاركة الأمة في الحياة السياسية

المشاركة في الحياة السياسية ليست حكراً على أحد، وليس لفرد، أو فئة، أو طبقة أن تستأثر بها دون الآخرين، ويقصد به: أن للفرد حقاً في أن يشارك سلطة الحكم أعمالها، توجيهاً وإدارةً وتنفيذاً، وكل ما يتعلق بأمور الدولة وشؤونها[1].

ويتضمن هذا الحق الاشتراك في الانتخابات المختلفة، والاستفتاءات المتنوعة، وكذلك حق الترشيح للهيئات والمجالس المنتخبة، وأخيراً حق تولي الوظائف العامة بالدولة، والمشاركة في اتخاذ القرارات التي تصدرها الأجهزة والسلطات الحكومية[2]، وسيتم الحديث هنا عن حق الفرد سياسياً في كل من: حق الترشيح، وحق الانتخاب، وحق تولي الوظائف العامة.

1- حق الترشيح

يقصد به:حق الفرد في ترشيح نفسه لمنصب من مناصب الدولة، أو لوظيفة من الوظائف العامة بالدولة.

وقد اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة على قولين:

1- سعيد، صبحي عبده. 1415هـ - 1994م. *الإسلام وحقوق الإنسان*. القاهرة: دار النهضة العربية. ص: 181.

2- عبد الله، عبد الغني بسيوني. 1997. *النظم السياسية والقانون الدستوري*. الإسكندرية: منشأة المعارف. ص: 234 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

القول الأول: عدم جواز ترشيح الفرد نفسه لوظيفة عامة، أو لمنصب رئاسي أو نيابي في الدولة[1]، وممن ذهب إلى هذا الرأي الإمام المودودي.

ويستدل مؤيدوا هذا القول على التالي:

1- قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾[2].

2- قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ! لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا"[3].

3- عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الذِي عَلَيْهِ فِيهَا"[4].

وجه الدلالة: يبين هذان الحديثان عدم جواز سعي الفرد المسلم للوظيفة العامة، وترشيح نفسه لها، أو طلبه إياها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- المودودي، أبو الأعلى. 1401هـ - 1981م. *نظرية الإسلام السياسية*. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص: 53.

2- القرآن. النجم 53: 38.

3- النسائي، عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت303هـ)*سنن النسائي*. بيروت: دار احياء التراث العربي. *كتاب آداب القضاء. باب النهي عن مسألة الإمارة*. ص: 894.حديث رقم: 5399.

4- صحيح مسلم. كتاب الإمارة. *باب كراهية الإمارة بغير ضرورة*. 3/ 1457. حديث رقم: 1825.

يقول الإمام النووي في شرحه لحديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية"[1].

أما ترشيح الإنسان غيره فجائز؛ لأنه لا يتضمن طلب الإمارة، وإنما يتضمن دعوة الأمة إلى انتخاب المرشح الكفء، ومثل هذه الدعوة أمر جائز مستساغ[2].

القول الثاني: جواز ذلك، لمن توفرت فيه الشروط والمواصفات الشرعية، وممن ذهب إلى ذلك: البياتي، وعادل الشويخ، وعبد الكريم زيدان[3].

ويستدلون برأيهم هذا في قوله تعالى على لسان يوسفعليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[4].

وجه الدلالة: إن ترشيح الكفء نفسه يعتبر من قبيل الدلالة على الخير، وإرشاد الأمة، وإعانتها على انتخاب الأصلح، فهذا يوسفُ عليه السلام، قد رشح نفسه لتولي منصب رفيع في الدولة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- النووي، أبوزكريا يحي بن شريف (ت 676هـ). 1392هـ. شرح صحيح مسلم. ط2. بيروت :دار إحياء التراث العربي. 210/12.

2- البياتي، منير حميد. 1414هـ 1994م. *النظام السياسي في الإسلام مقارنةً بالدولة القانونية*. عمّان: دار البشير. ص : 327.

3- زيدان، عبد الكريم. 1405هـ - 1985م. *الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية*. الرياض: مطبعة الفيصل الإسلامية. ص: 53.

4- القرآن. يوسف 12: 55.

رأي الباحث

بعد النظر في كِلَا القولين وأدلة كل منهما، يتبين للباحث رجحان القول الثاني، القائل بجواز الترشيح؛ فإضافةً للتعليل الذي ذكروه، يجِدُ الباحث أنَّ الإسلام دعا إلى إسناد الأعمال إلى ذوي الكفاءة والنزاهة والقوة، وذلك عملاً بقوله تعالى على لسان إبنة شُعَيبْ عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[1].

أما الأحاديث الواردة بمنع طلب الولاية، فيمكن حملها على طلب الولاية ممن يطلب بها دنيا ورياسة واستعلاء، لا القيام بفرضيتها، أو من ضعيف لا تتوفر فيه شروطها بدليل القرآن الكريم، ورد فيها تعليل ذلك النهي بأنه: التطلع المذموم إلى المسؤولية للاستعلاء بها، واتباع هوى النفس، لا القيام بفرضيتها[2]، فعبد الرحمن بن سمرة لم يكن منفرداً بالفضل من بين أمثاله أو راجحاً علي جميعهم، كما أنَّ أبا ذَرٍ الغِفَارِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان لا يصلح للقيادة، رغم أنه جليس النبي صلى الله عليه وسلم.

كما أجاز الماوردي ذلك بقوله: "فحق الترشيح في الإسلام مكفول لمن توافرت فيه الأهلية المطلوبة لتولي الوظيفة، فله أن يتقدم بنفسه لطلبها، أو أن يقدمه غيره"[3].

1- القرآن. القصص 28: 26 .

2- البياتي، منير حميد. 1414هـ 1994م. *النظام السياسي في الإسلام مقارناً بالدولة القانونية*. عمّان: دار البشير. ص: 327 .

3- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. *الأحكام السلطانية*. مرجع سابق. ص: 7.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

حكم الدعاية للترشيح

إذا جاز الترشيح، ضمن المعايير التي ذكرت، فليس لمن رَشَّحَ نفسه أن يقوم بالدعاية الانتخابية التي يقوم بها المرشحون عادة في الوقت الحاضر، من مديح لأشخاصهم، وتنقيص في حق غيرهم، وإنما يجوز للمرشح أن يُعَرِّف نَفْسَهُ للناخبين، ويُبَيِّنْ له فكرته ومنهاجه في العمل، ولا يزيد على ذلك[1].

يقول ابن الجوزي في ذلك: "إذا خلا مدح الإنسان لنفسه من بغي وتكبر، وكان مراده الوصول إلى حق يقيمه، وعدل يحييه، وجور يبطله، كان ذلك جميلاً جائزاً "[2].

ويقول الإمام الألوسي "يجوز للإنسان مدح نفسه بالحق، إذا جهل أمره"[3].

نستنتج من هذه النصوص ترجيح مدح النفس، عندما يرى الإنسان نفسه صالحاً لولاية دينية، لا يجد غيره أصلح منه لها، وهذا دليل إيجابي، وعلى هذا فعلى الداعية أن لا يبرر سلبيته أحياناً بالتقوى، أو التواضع، وعليه بالتصدي لإظهار نفسه للمهمات الإسلامية[4].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- البياتي، منير حميد. 1414هـ 1994م. *النظام السياسي في الإسلام مقارناً بالدولة القانونية*. عمّان: دار البشير. ص: 328.

2- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت:597هـ). 1404هـ-1984م. *زاد المسير في علم التفسير*. ط3. جـ4. بيروت: دار المكتب الإسلامي. ص: 245 .

3- الألوسي، أبوالفضل محمد (ت1270هـ). ب.ت. *روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والمثاني السبع*. جـ 13. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ص: 5.

4- الشويخ، عادل. 1419هـ- 1999م. *تقويم الذات: سلسلة رسائل العين*. 7. طنطا: دار الرشيد. ص: 22.

2- حق الانتخاب

من حق كل فرد في المجتمع الإسلامي سواء كان ذكرا أو أنثى- إذا كان بالغاً عاقلاً - أن يكون له رأي في مصير الدولة؛ لأنه منعم عليه بنصيبه من الخلافة العمومية، ولم يخص الله تعالى تلك الخلافة بشروط خاصة، من الكفاءة والثروة، بل هي مشروطة بالإيمان والعمل الصالح فحسب، فالمسلمون سواسية في حق التصويت وإبداء الرأي[1].

كما يقصد بالانتخاب: "السلطة القانونية المقررة للناخب، لا لمصلحته الشخصية، ولكن لمصلحة المجموع"[2].

ومن الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يؤكد على حق الانتخاب:

أولا: القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- المودودي، أبو الأعلى. 1389هـ - 1969م. *نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون*. ترجمة: الإصلاحي، خليل حسن. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص: 55.

2- عبد الله، عبد الغني بسيوني. 1997. *النظم السياسية والقانون الدستوري*. الإسكندرية: منشأة المعارف. ص: 161.

3- القرآن. الشورى 42: 38.

وجه الدلالة: أمر الله تعالى بالشورى، وحثَّ عليها، ومن أهم الأمور التي تجري فيها الشورى، هي مشاورة الأمة فيمن يحكمها أو يمثلها، والوسيلة التي من خلالها يتعرف على رأي أفراد الأمة هو الانتخاب.

ثانيا: السنة النبوية الشريفة:

في بيعة العقبة الثانية، وبعد أن تمت البيعة لثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين من الأوس والخزرج، قال صلى الله عليه وسلم لهم: "أَخْرِجُواْ إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ"[1].

وجه الدلالة: في هذا الحديث أرسى النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ الانتخاب، بل وشَرَّعَ أول سابقة دستورية في ذلك، وبهذا فإن النظام السياسي الإسلامي يتسع لكل مظاهر الحياة السياسية وأساليب الانتخاب في العصر الحديث.

3- حق تولي الوظائف العامة

الوظيفة العامة أمانة استرعانا الله عز وجل إياها، وهي تكليف، وليست حقاً للفرد على الدولة المسلمة، بل طلب الفرد لها وحرصه عليها يحول بينه وبين هذه الوظيفة، رَوَىَ

1- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 19-87. *باب كعب بن مالك الأنصاري* عن كعب بن مالك، والإمام أحمد في مسنده 3- 450 عن كعب بن مالك .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: "دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله، وقال الأخر مثله، فقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّا لا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ"[1].

ميزان الاختيار

يقوم ميزان الاختيار والتعيين على دعامتين أساسيتين لإسناد الوظيفة إلى أهلها وهما:

القوة والأمانة، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

فالقوة: هي القدرة والكفاءة على القيام بمهام الوظيفة، وهي تختلف باختلاف الوظائف.

أمَّا الأمانة: فترجع إلى إدارة شئون الوظيفة، حسب ما يقضي به الشرع الإسلامي، مع خشية الله ومراقبته، لا خشية الناس وطلب مرضاتهم[3].

1- صحيح البخاري. *كتاب الأحكام. باب ما يكره من الحرص في طلب الإمارة*. 6/ 2614. حديث رقم: 6730.

2- القرآن. القصص 28: 26.

3- زيدان، عبد الكريم. 1405هـ-1985م. *الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية*. الرياض: مطبعة الفيصل الإسلامية. ص: 56.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أما عدم التزام رئيس الدولة وولاة الأمر بضوابط التعيين، في إسناد الوظيفة العامة إلى من يستحقها، يعد خيانة الأمانة، وتضييعاً لها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم:"إِذَا ضُيِّعَت الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ"، قيل: كيف إضاعتها؟ قال: "إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"[1].

ومن هنا، فإن مسؤولية اصطفاء واختيار الأحق والأصلح للوظيفة العامة، من مسؤولية وأمانة ولاة الأمور، ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَهُ قَالَ: "مَنْ ولى مِنْ أَمْرِ المسْلِمِين شيئاً فَوَلَّى رَجُلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله"[2].

ويقول ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية: "فإن عَدَلَ عن الأحق والأصلح لإلى غيره، لأجل قرابة بينهما، أو ولاء، أو صداقة، أو موافقة في بلدٍ أو مذهب أو طريق أو جنس، كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو لرشوة يأخذها منه من مالٍ أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغنٍ في قلبهِ على الأحق أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنون"[3]، ودَخَلَ فيما نهى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

1- صحيح البخاري. *كتاب الأحكام . باب ما يكره من الحرص في طلب الإمارة*. 6/ 2614. حديث رقم: 6730.

2- الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي. 1411هـ - 1991م. *مسند الفاروق*. ج2. المنصورة: دار الوفاء للطباعة للنشر والتوزيع. ص: 537.

3- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت:728هـ). 1425هـ - 2004م. *السياسة الشرعية في إصلاح الرعي والرعية*. ط1. الدار العثمانية للطباعة والنشر والتوزيع. ص: 23.

4- القرآن. الأنفال 8: 27.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ثالثاً- حق الأمة في مراقبة القائد - الحاكم

كما كفلت الشريعة الإسلامية حرية الأمة في اختيار قائدها، فإنها كفلت كذلك حق الأمة في مراقبة أعمال مُوَكِّلِهَا، وذلك لإيجاد الفاعلية التي تستهدف منع القائد من مخالفة القانون الإسلامي أو الحد من استبداده، فلا بد أن تصاحب قاعدة إختياره، قاعدة أخرى وهي حق رقابته رقابة دائمة من الأمة[1]، ومستند هذا الحق: أن الحاكم وكيل عن الأمة في تطبيق منهج الله، فإن التزم ذلك أعانته، وإن انحرف وزاغ قومته، إذ أن الأمة مكفلة شرعاً بتغيير المنكر، فهي رقابة قررتها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

أولاً: القرآن الكريم

1- قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

2- وقوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[3].

1- زيدان، عبد الكريم. 1405هـ - 1985م. *الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية*. الرياض: مطبعة الفيصل الإسلامية. ص: 52.

2- القرآن. آل عمران 3: 104.

3- القرآن. الحج 22: 41.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وجه الدلالة: تدل الآيتان الكريمتان على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على الأمة، إذ أنها ما نالت ومنحت صفة الخيرية إلاَّ بهما، وأَنَّ الذين مَكَّنَهُم الله في الأرض يحملون رسالة الإصلاح والتغيير.

ثانياً: السنة

سئل رجلاً النبي النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع يده في الغرز: "أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر"[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ النَّاس إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُواْ عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ مِنْهُ"[2].

وجه الدلالة: تدل الأحاديث على أن الأمة مطالبة بتغيير المنكر، ودفع الظلم، وظلم ذوي السلطان أعظم من ظلم غيرهم، فالنهي عنه أولى، وحيث أن الأمة هي من أنابت الحاكم عنها لإقامة العدل بين الناس، فهي المسئولة عن محاسبتهِ على ظلمه.

1- سنن أبي داود. *كتاب الملاحم. باب الأمر والنهي*. 4/ 124. حديث رقم:4344.

2- سنن الترمذي. *كتاب الفتن. باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغيّر المنكر*. ج4. حديث رقم: 2168.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ثالثاً: أقوال القادة وهم يدعون الأمة إلى مراقبتهم

لقد رُعِي حق الأمة في مراقبة حكامها، واعتني به عناية تامة، تجسد ذلك في التطبيق الخلفاء الراشدين لهذا الحق، حيث استشعر الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم وجوب رقابة الأمة على أعمالهم، فضلاً عن مسؤوليتهم أمام الله تعالى، فاعترفوا بها وقرروها واعتبروها دستوراً للحكم، فدعوا الأمة إلى مراقبتهم وتقويمهم في سيرتهم ما يخالف الشرع، أو انحرفوا عن الجادة، فهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد خاطب الأمة عند توليهِ قائلاً: "فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي"[1].

وهذا رجل يقول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :"اتق الله يا أمير المؤمنين"، فقال له رجل من القوم: أتقول لأمير المؤمنين: اتق الله؟ فقال له عمر: "دعه فليقلها لي، نعم ما قال؛ ثم قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم"[2].

وبهذا فإن الأمة تملك حقاً في مراقبة الحاكم وتقويمه، فإن لم يقبل التقويم، فقد منحها الإسلام سلطة عزله.

1- ابن كثير. *البداية والنهاية*. 301/6.

2- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. 1422هـ - 2002م. *سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب*. ط1. تحقيق: المصري، محمد خليل. القاهرة: المكتبة المحمدية. ص: 151.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

رابعاً: حق الأمة في عزل القائد – الحاكم

الأمة هي التي تختار الحاكم لتنفيذ شرع الله، وتصريف شئونها، ومن يملك حق الاختيار والتعيين، يملك حق العزل، وأساس هذا الحق يستند أن الحاكم وكيل على الأمة، وقد اختارته ليمارس السلطة نيابة عنها، فإذا خرج عن حدود وكالته، أو قصر حق للأمة عزله واختيار سواه[1].

وقد انتبه العلماء إلى ضرورة أن لا يكون عزل الحاكم لأدنى خطأ يرتكبه ولا لمجرد معصية[2]، فقاموا بتقسيم الأسباب التي يخرج بها الإمام عن إمامته إلى قسمين[3]:

الأول: النقص في البدن، وهو النقص الذي يطرأ على الحواس أو الأعضاء أو التصرفات، والذي لا يستطيع الحاكم بسببه مباشرة أعماله كإمام للمسلمين.

الثاني: جرح عدالته: وهو ما يُعبِّرُ عنه الفقهاء بـ(الفسق).

وفي هذه الحالة يجوز للأمة استعمال السبل المشروعة لتنحيته من منصبه إذا وجد المبرر الشرعي لذلك، كالأسباب التي ذُكِرَتْ إضافة لخروج الحاكم السافر عن نهج الإسلام وأحكامه، مما يعتبر كفرا في نظر الإسلام[4].

1- البياتي، منير حميد. 1414هـ 1994م. *النظام السياسي في الإسلام مقارنة بالدولة القانونية*. عمّان: دار البشير. ص: 262 .

2- زيدان، عبد الكريم. 1405هـ - 1985م. *الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية*. الرياض: مطبعة الفيصل الإسلامية. ص: 51.

3- الماوردي، أبو الحسن بن علي بن محمد بن حبيب. ص: 17.

4- زيدان، عبد الكريم. 1405هـ - 1985م. *الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية*. الرياض: مطبعة الفيصل الإسلامية. ص: 51.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يؤيد ذلك ما روى عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَبَايَعْنَاهُ فَكَان مِمَّا أَخذ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعْنَا عَلَىَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنِا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا ننازع الأمر أهله"، قال: "إلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ"[1].

بيد أن حق الأمة في عزل الحاكم الذي خولها الشرع به ليس مطلقاً في كل الأحوال، ولكنه مقيد بتحقيق المصلحة العامة، وأن لا يترتب عليه نتائج تشكل خطراً على الأمة المسلمة[2].

خامساً: حرية الرأي

يقصد بالرأي: اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن، على هذا قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ﴾[3]، أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم، والروية والتروية: التفكير في الشيء والإمالة بين خواطر النفس وتحصيل الرأي[4].

1- صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية. 3/ 1470. حديث رقم: 4748.

2- الحبل، مشير عمر خميس. 1424هـ - 2003م. الحياة *السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة: دراسة مقارنة*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه المقارن). الجامعة الإسلامية: غزة. ص: 54.

3- القرآن. آل عمران 3: 12.

4- الأصفهاني، الراغب. 1998. *المفردات في غريب القرآن*. ط1. بيروت: دار المعرفة. ص: 189 – 190.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أما حرية الرأي فنعني بها: أن يكون لدى الإنسان القدرة على تكوين الرأي وإعلانه دون تأثيرٍ من أحد[1]، وأنها: "قد تتخذ نوعاً من النقد أو النصح النزيه وهو المطلوب"[2].

وقد نادى الإسلام بحرية الرأي وكفلها، ولم يجعلها مجرد حق للإنسان يطالب به، أو يتنازل عنه، بل هي واجب عليه وفريضة وأمانة، ونوع من الجهاد والعبادة[3].

وتجد حرية الرأي أساسها في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فقد اعتبر القرآن الكريم من يتصدى لهذا الواجب من المفلحين، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

وبهذا يثبت أن حرية الرأي السياسي مشروعة في الإسلام في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والإسلام وهو يجعل إبداء الرأي والتعبير عنه من أوجب واجبات المسلم، عليه أن يمارسه كلما كان لذلك مقتضى، حذر من سلبية الإنسان، وانعزاليته، وعدم مساهمته بالرأي في شؤون المجتمع[5]، يقول رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لَتَأْمُرُنَ

1- الوحيدي، فتحي. 1988. *الفقه السياسي والدستوري في الإسلام*. ط1. غزة: مطابع الخيرية. ص: 212.
2- الدريني، محمد فتحي. 1987. *خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم*. ط2. مكتبة الرسالة. ص: 305.
3- عبدالله، بسيوني عبدالغني. 1997. النظم السياسية والقانون الدستوري. الإسكندرية: منشأة للمعارف. ص: 242.
4- القرآن. آل عمران 3: 104.
5- سعيد، صبحي عبده. 1415هـ - 1996م. *الإسلام وحقوق الإنسان*. القاهرة: دار النهضة العربية. ص: 115.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بالمعروف وتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم"[1].

وقد دعا الإسلام إلى الصدع بكلمة الحق، والتضحية في سبيلها، والاستشهاد دونها، واعتبرها من أفضل أنواع الجهاد، فقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:"سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ أَو نَهَاهُ فَقَتَلَهُ"[2].

ويدعو رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلم إلى تكوين شخصيته المستقلة، وذلك في إبدائه للرأي، فيقول: "لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاؤُوا، فَلا تَظْلِمُوا"[3].

بهذا، ضرب رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، المثل الأعلى في حرية الرأي، وسار على نهجه الصحابة الكرام، وسلفنا الصالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم حتى أضحت حرية الرأي سمة من سمات المجتمع الإسلامي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- سنن الترمذي. *كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب ماجاء في الأمر بالمعروف*. حديث رقم: 2169.

2- اخرجه الحاكم في المستدرك 3-215. *باب ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب* عن جابر بن عبد الله، والطبراني في المعجم الكبير 3-151. *باب الحسين بن علي*.

3- سنن الترمذي. *كتاب البر والصلة. بأب ما جاء في الإحسان والعفو*. 4/ 364. حديث رقم: 2007.

ففي سيرة الصحابة نجد أن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يعلن في غزوة الأحزاب عن رأيه بحفر الخندق حول المدينة، ويأخذ برأيه النبي صلى الله عليه وسلم وينتصر المسلمون[1].

ضوابط حرية الرأي في الإسلام

إن حرية الرأي التي منحها الإسلام للإنسان لا تكون مطلقة لا حدود لها، ولكنها مقيدة بضوابط الشرع، إذْ قيَّدَ الإسلام حرية الرأي بضوابط وقيود، بحيث لا تخرج عن الإطار العام للشريعة الإسلامية، ولا تتعدى أهدافها، ومن هذه الضوابط والقيود:

1- الاعتماد على الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والإعراض عن الجاهلين قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2].

2- أن لا تصل حرية الرأي إلى نشر الأهواء والضلالة والبدع: بل يتعين على الفرد مراعاة المبادئ الإسلامية والعقيدة الإسلامية، فلا يجوز له الطعن في الإسلام، أو برسوله صلى الله

1- الحبل، مشير عمر خميس. 1424هـ - 2003م. *الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة: دراسة مقارنة*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه المقارن). الجامعة الإسلامية: غزة. ص: 56.

2- القرآن. النحل 3: 125.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عليه وسلم، أو بعقيدته بحجة الرأي، فإن هذا الصنيع يجعل المسلم مرتدا يستحق العقاب، ولا تشفع له حرية الرأي[1].

3- إبداء الرأي دون سب أو فتنة، وعدم الجهر بالسوء: وذلك بالخوض في حق الناس بما يتنافى وسمعة المسلم، إلا من أصابه ظلم قال الله تعالى: ﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾[2].

4- الابتعاد عن المراء والجدل: لما فيهما من إيذاء الآخرين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ، إِلاَّ أُتُوا الْجَدَلَ"[3].

5- عدم الخوض في أعراض الناس وإذاعة أسرارهم وما من شأنه أن يؤدي إلى الاستهتار بالقيم الأخلاقية، وتزيين الرذيلة والاختلال الخلقي بين أفراد المجتمع، فمن ضوابط الحرية وقيودها، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

1- زيدان، عبد الكريم . 1405هـ – 1985م. *الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية*. الرياض: مطبعة الفيصل الإسلامية. ص: 79.

2- القرآن. النساء 4: 148.

3- ابن ماجه. سنن ابن ماجه. *باب اجتناب البدع والجدل*. 1-55، عن أبي إمامة، والإمام أحمد في المسند، 5 -252، *باب حديث أبي أمامة الباهلي عن أبي أمامة*.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

سادساً: حرية الاعتقاد

وهو حق الإنسان في اختيار ما يؤدي إليه اجتهاده في الدين فلا يكون لغيرهِ حق في إكراهه على عقيدة معينة أو على تغيير ما يعتقده بوسيلة من وسائل الإكراه وإنما يكون له حق في دعوته بالإقناع بدليل العقل[2].

وتكاد تجمع كتب التفسير والفقه على اعتبار آية: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3] قاعدة كبرى من قواعد الإسلام، فالمودودي رد على القائلين مابين قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[5]، بتأكيد هذا المبدأ من خلال ذات الآية، معتبراً أن الإسلام الذي لا يجبر أحد على الدخول في دينه، فإنه لا يجبرنا أحد على أن ندخل فيما لا نحب[6].

1- القرآن. الحجرات 49: 11 – 12.

2- الصعيدي، حازم عبد المتعال. 2001. *الحرية الدينية في الإسلام*. ط1. القاهرة: دار المعارف. ص: 6.

3- القرآن. البقرة 2: 256.

4- القرآن. البقرة 2: 256.

5- القرآن. الكافرون 109: 6.

6- المودودي، أبو يعلى. 1977. *الحكومة الإسلامية*. ط1. ترجمة: إدريس، أحمد. القاهرة: المختار الإسلامي. ص: 66.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فحرية الاعتقاد تعتبر من مصنفات الإيمان والعقائد لدى المسلم، لأن الإيمان بها تصديق لما خلق الله من إنسان فيه عقل يملك حرية التفكير كما يملك حرية الاعتقاد.

سابعاً: حرية التعبير

من يملك حرية الاعتقاد من حقه أيضاً أن يملك حرية التعبير، فقد جسَّدَ القرآن الكريم العديد من المناظرات الحوارية، حتى مع الشيطان الرجيم رغم كثرة الآيات التي تحدثت عن شروره ومكائده للخلق، منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظَرِينَ﴾[1].

وفي حوارات الأنبياء والرسل مع المخالفين الكثير العديد، منها ما دار بين خليل الله إبراهيم عليه السلام وبين طاغية بلاده في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

1- القرآن. الأعراف 7: 12-15.

2- القرآن. البقرة 2: 258.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كذلك ما دار بين كليم الله موسى عليه السلام وبين فرعون الموصوف قرآنياً بالعلو في الأرض وأنه من المسرفين ورغم هذا التوضيح الذي أوضحه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ المسْرِفِينَ﴾[1]، رغم ذلك فقد حدث حوار بين موسى وهارون عليهما السلام وبين فرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى* قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى* قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾[2].

وفي السيرة العطرة لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم تجد الكثير من الأمثلة التي تدل على هذه المنهجية الحوارية المتقبلة والحق الآخر في التعبير، وإن كان كافراً بما يحمل المسلم ويعتقد، ففي ظل الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة المنورة نجد نموذج ذلك الحوار المتمثل في رافع بن خزيمة ووهب بن يزيد اليهوديان اللذين قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لرئيس الدولة المسلمة، يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا ونسمع كلامه، فكان الرد القرآني: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[3]، فعلى الرغم من أن اليهوديان يشككان في أصل إيمان المسلمين ودولتهم؛ فإنه لم يجري إنزال عقوبة بهما قتلاً أو نفياً أو سجناً[4].

1- القرآن. يونس 10: 83.

2- القرآن. طه 20: 49 - 52.

3- القرآن. طه 20: 49 - 52.

4- قال ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية أن(رافع بن خزيمة ووهب بن زيد) قالا للنبي صلى الله عليه وسلم: آتنا بكتاب من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهاراً فنتبعك. Al-islam.com

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كما كانت تتم المناظرات في عهد الخلفاء الراشدين داخل الفرق الإسلامية أو بين المسلمين وغيرهم، منها ما دار بين علي كرم الله وجهه والخوارج التي أعلنت الحرب على المسلمين وكفرت علي بن أبي طالب على المنابر، رغم ذلك تركهم الإمام علي كرم الله وجهه وشأنهم دون مطاردة أو ملاحقة، وكان مما قال لهم: "لكم علينا ثلاث ألاَّ نمنعكم من مساجد الله، ولا نحرمكم الفيء، ما دامت أيديكم في أيدينا ولا نبدأكم بقتال"[1].

تتقارب حرية التعبير أيضاً مع ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي مواطن أخرى يترأى لنا تحريض نبوي يصل حد الاستماتة في قول كلمة الحق وإنكار المنكر في وجه الطغاة والمتجبرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَفْضَلُ الجِهَاد كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"[2].

ويؤيد الماوردي ذلك في كتابه "الأحكام السلطانية" عن الحرية التي اعتبرها مكفولة لإعتناق الآراء والتعبير عنها حتى لو كانت مخالفة لرأي الجماعة مادامت لا تفرض بالإكراه والقوة[3]؛ وكذلك دعا إبن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة الناس إلى التمسك بحرياتهم المكفولة إسلامياً مهما حدث لهم من ضغوط[4].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- القرضاوي، يوسف. *فتاوي معاصرة*. ج 2. ص: 662.

2- النسائي. سنن النسائي، باب *فضل من تكلم بالحق* ، عن طارق بن شهاب، والبيهقي في شعب الإيمان 6: 92 باب أحاديث في *وجوب الأمر بالمعروف* عن أبي أمامة.

3- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. 1980. *الإمامة والسياسة*. ط1. ج 1. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة . ص: 283.

4- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*. مطبعة الحلبي وابناؤه. ص: 68.

ثامناً: حرية الحق في المعارضة السياسية

المعارضة لغةً: مُشْتَقة من مادة (**عرض**)، وهي تعني المعارضة على سبيل الممانعة، نقول عارض فلاناً في كلامه: أي ناقضه في كلامه وقاومه، وعارضه: أي جانبه وعَدَلَ، والإعراض عن الشيء: الصد عنه.[1]

ويقول الجرجاني: "المعارضة هي المقابلة على سبيل الممانعة، وهي إقامة الدليل على خلاف ما قام عليه دليل الخصم"[2].

وعرفتها الموسوعة السياسية بأنها: "الأشخاص والجماعات والأحزاب التي تكون معادية كلياً أو جزئياً للحكومة"[3].

ويذكر أحد الباحثين من أنَّ حقيقة المعارضة وباختصار تتركز في التعبير عن الحق الجماعي في المناقشة والتقويم لسلوك السلطة السياسية، وفلسفتها تقوم على تَقَبُّلْ الخلاف الرأي واعتباره حقاً مشروعاً[4].

ويمكن القول بأن المعارضة هي: "حق الأفراد في انتقاد الآراء بهدف تصويبها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأئمة المسلمين وعامتهم والأمر والنهي هو الشريعة كلها"[5] إذْ أَنَّ

1- ابن منظور. جمال الدين محمد بن مكرم. *لسان العرب*. ج 2 . ص: 167 .

2- الجرجاني، علي بن محمد بن الحسين. *التعريفات*. ص: 274 .

3- الكيالي، عبد الوهاب. 1983. *الموسوعة السياسية*. ط2. ج1. ص: 623.

4- سعادة، نيفين عبد الخالق. 1985. *المعارضة السياسية في الفكر الإسلامي*. القاهرة: مكتبة الملك فيصل الإسلامية. ص: 25.

5- الدريني، محمد فتحي. 1997. *المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي*. ط3. مكتبة الرسالة. ص: 414.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المعارضة في العصر الحديث لا تعني الوقوف في وجه كل ما تفعله السلطة وأنها المراقبة، والتقويم بهدف المصلحة العامة، وهذا هو مفهوم المعارضة في الإسلام.

فلقد اقتضت حكمة الله عزَّ وجل أن يخلق الناس مختلفين في ألوانهم وأشكالهم ولغاتهم وأفكارهم واتجاهاتهم، وهذه التعددية واقعة فعلاً مجبول عليها الناس، ويمكن تصنيفها حسب ما وردت قرآنياً إلى عِدة أوجه.

- تعدد القوميات: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[1].

- تعدد المناهج والحضارات: قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[2]

- تعدد الديانات: قال عزَّ وجل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[3]، أو في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[4].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- القرآن. الروم 30: 22.

2- القرآن. المائدة 5: 48.

3- القرآن. يوسف 12: 103.

4- القرآن. الكافرون 109: 6.

وإذا كان هذا الاختلاف من آيات الله تعالى، فإن اختلاف عقولنا ومداركنا وما ينتج عن هذا الاختلاف آية من آيات الله سبحانه وتعالى كذلك.

ففي الاختلاف رياضة للأذهان، وتلاقح للآراء، وفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة المتنوعة الوصول إليها[1].

لذا يجب علينا أن نوفّر حرية الرأي والتعبير، وسماع وجهات نظر الآخرين ونقدها بعد تمحيصها، لأنّ جواً صحيحاً من هذا النوع سيدفع للعمل الإسلامي إلى الأمام[2].

ولقد كفل الإسلام حرية الرأي لجميع أفراده، فحرية الرأي تعد الركيزة الأساسية لحرية المعارضة بل لسائر الحريات الذهنية، فإن وجدت حرية الرأي وجدت المعارضة، ولأهمية المعارضة في المجتمع الإسلامي فقد ضمنها للحكام والمحكومين؛ ودعا إلى تحمل المشاق والإيذاء في سبيلها، وفي ذلك يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى جائر فأمره ونهاه فقتله"[3].

مما سبق نرى أن المعارضة تحظى بأهمية عظيمة في التشريع الإسلامي وذلك اعتبارها ناجحة لتقدم الأمة وازدهارها ونستدل في ذلك على النصوص الكريمة من الكتاب والسنة النبوية على مشروعية هذا الحق من الحريات آلا وهو حرية المعارضة:

1- العلواني، طه جابر فيّاض. 1981. *أدب الإختلاف في الإسلام*. القاهرة: المعهد العالمي الإسلامي .ص: 25.

2- جلبي، خالص. 1984. *النقد الذاتي*. ط1. بيروت: مكتبة الرسالة. ص: 23.

3- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبدالله (ت405هـ). *المستدرك على الصحيحين*. ج2 . ص: 195.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقوله تعالى في حث المؤمنين على عمل الصالحات وقول الحق والصبر على الأذى في سبيله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

طلب الله تعالى من رسوله وأولي الأمر من المسلمين من مشاورة أهل الرأي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[3].

السنة النبوية الشريفة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[4]. وهذا ما أوجب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الوقوف في وجه المنكر كل حسب قدرته واستطاعته.

1- القرآن. آل عمران 3: 104.

2- القرآن. العصر 103: 1-3.

3- القرآن. آل عمران 3: 159.

4- صحيح مسلم. ابن الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت: 261هـ). *كتاب الإيمان. باب كون النهي عن المنكر من الإيمان*. ج 2: 69. حديث رقم: 49.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

قوله صلى الله عليه وسلم: "إن أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطانٍ جائر"، ويبين رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من أَنَّ أعظم المجاهدين من لا تأخذه في الله لومة لائم"[1].

كما نهى صلى الله عليه وسلم عن ممالاة الظلمة والسكوت على ظلمهم فقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّهُ سيكون بعدي أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولَسْتُ مِنْهُ"[2].

وحذَّر كذلك من هلاك الأمة إن هي تركت واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ النَّاس إذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُواْ عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ مِنْهُ"[3].

يبقى أن نشير إلى أن الشريعة الإسلامية وكما كفلت حق الفرد في المعارضة إلاَّ أنها كذلك ضبطت ذلك الحق بعددٍ من القيود أو الضوابط والتي من أهمها:

1- ألاَّ تُعَارِض النظام العام في الشريعة الإسلامية. "إذ ليس كل أمر مطروح يسمح بمخالفته أو إبداء الرأي فيه، فهناك أمور قد نصَّ الشارع على محكمها، أو أجمعت الأمة عليها فلا مجال للإجتهاد فيها فلا اجتهاد في أمر قد نُصَّ عليه دليل قطعي الثبوت أو أجمعت عليه

1- سنن الترمذي. *كتاب الفتن . باب ما جاء في أعظم الجهاد*. ج4: 47. حديث رقم: 2147.

2- سنن النسائي. عبد الرحمن أحمد بن شعيب. *كتاب البيعة. باب ذكر الوعيد لمن أعان الأمير على الظلم*. ج7: 160.

3- سنن الترمذي. *كتاب الفتن . باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر*. ج4: 467. حديث رقم: 2168.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الأمة"[1]، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم المعارضة على هذا النحو، إذ وقبل أن يعرضوا رأيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسألونه هل الأمر موحي به من عند الله تعالى أم اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم، فإن كان اجتهاداً أبدوا رأيهم؛ وإلاَّ فلا، ومن الأمثلة التي تُمرِّر هذا القول ما جرى في غزوة بدر عندما سَئَلَ الحَبَّابُ بنُ المُنْذِرْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هي الحرب والمكيدة؟!"[2]، كذلك من الأمثلة ماجرى في غزوة الخندق حيث أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطي غطفان ثلث ثمار المدينة المنورة شريطة ألا يقاتلوا المسلمين ويعودوا لبلادهم، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يستشيرهما، فقالا له: يا رسول الله أمرٌ تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فلما عَلِمَا أنه رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أشارا عليه، وأخذ برأيهما[3].

من هذه الحوادث وغيرها كُثُرْ يتبين لنا أن المعارضة تكون في الأمور المنصوص عليها والموحي بها من عند الله عز وجل والمجمع عليها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- عبد العزيز، أمير. 1997. *أصول الفقه الإسلامي*. ط1. ج2 . دار السلام. ص: 750.

2- ابن هشام، جمال الدين بن عبد الملك بن هشام بن أيوب . *السيرة النبوية*. ص: 234.

3- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت:774هـ). 1976. *السيرة النبوية*. ج2. بيروت: المعرفة. ص: 457.

2- ألاَّ تؤدي إلى مفسدة: فالإسلام حارب كل دعوة تثير المفاسد، أو أي محاولة لزرع بذور الشِقَاق والفرقة في صفوف الأمة أو النيل منها ومن هيبتها ووحدتها، بل اشترط الإسلام أن تكون المعارضة في حدود أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر.

3- ألاَّ تكون ذات طابع شخصي- فردي-: من المعارضات الفاسدة، المعارضة ذات الطابع الشخصي التي يحرص أصحابها على تحقيق مآربهم ولو أدَّى ذلك إلى الإضرار بالدين أو تعطيل لمصلحة المجتمع.

والمعارضة في الإسلام قد تكون فردية أو جماعية، فبالنسبة إلى المعارضة الفردية فإن لكل فرد أفراد المجتمع الإسلامي نصيب من السلطة، فالفرد رقابة على السلطة،إذ له الحق أن ينتقد تصرفات المسؤولين، ويعترض عليها، ويناقشها، وأن يبدي رأيه في القضايا المطروحة بكل وسيلة مشروعة[1]، فقد اعترض عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في صلح الحذيبية، واعترض كل من سعد بن معاذ وسعد بن عبادة على النبي صلى الله عليه وسلم، عندما أراد أن يعطي غطفان جزءا من ثمار المدينة المنورة، فاعترضاه وناقشاه فقبل رأيهما.

وهذا النوع من أنواع المعارضة تكون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرقابة على السلطة الحاكمة والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم بهدف الحفاظ على مصلحة الأمة.

1- المودودي، أبو الأعلى. 1974. *نظام الحياة في الإسلام*. ط3. مكتبة الرسالة. ص: 30.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أما النوع الثاني من أنواع المعارضة في الإسلام فهي المعارضة الجماعية والتي تأخذ شكل الأحزاب السياسية في وقتنا الحاضر، والتي تعبر عن مجموعة من الأمة أو عن رأي جماعة لها اعتبارها وكيانها، وسوف نتطرق هنا للحديث عن مفهوم الأحزاب السياسية وأهدافها ثم موقف الإسلام منها.

فالحزب لغةً: الطائفة من الناس، **وتحزبوا:** تجمعوا أو صاروا أحزاباً.

أما في الاصطلاح، فلقد تعددت تعريفات الحزب السياسي بين كثير من المفكرين من أشهرها:

ما عَرَّفَهُ أندريه هوريد بأنه: "تنظيم دائم يتحرك على مستوى وطني ومحلي، من أجل الحصول على الدعم الشعبي، ويريد الوصول إلى ممارسة السلطة بغيةَ تحقيق سياسة معينة"[1].

ويعرف الطماوي الأحزاب بأنها: "جماعة متعددة من الأفراد تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين"[2].

ومن التعريفات السابقة يتضح لنا أن أي حزب سياسي يقوم على ثلاثة عناصر أساسية هي[3]:

1- هوريد، أندريه. 1972. *القانون الدستوري والمؤسسات السياسية*. ط2. ج2. بيروت: المطبعة الأهلية. ص: 241.

2- الطماوي، سليمان محمد. 1996. *السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي الإسلامي*. ط6. القاهرة: دار الفكر العربي. ص: 543.

3- عبد الله، عبد الغني بسيوني. 1997. *النظم السياسية والقانون الدستوري*. الإسكندرية: منشأة المعارف. ص: 538.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- تنظيم سياسي له هيكل معين.

2- أعضاء من الشعب ينتمون إليه ويدافعون عن مبادئه.

3- وجود هدف متمثل في الوصول للحكم وممارسة السلطة لتحقيق مبادئه، وتنفيذ برنامجه السياسي.

ونحن لا نختلف مع هذه التعاريف أو الأهداف التي أوردناها فيما يخص الأحزاب وتكوينها، إلاَّ أنه لا يمكن قياس هذه التعاريف بما هو في الفكر السياسي الإسلامي، وذلك لإشتمالها على بعض الحقائق التي تتنافى وتتناقض مع الشريعة الإسلامية من أبرزها[1]:

1- أن الأحزاب بالمفهوم الإسلامي له أهداف شرعية وسياسة مغايرة لما تسعى إليها الأحزاب الديمقراطية، إذ أنها تسعى لتحكيم شريعة الله وإرساء تعاليمه.

2- لا يمثل الوصول للسلطة هدف رئيسي لقيام أي حزب في الإسلام، وإنما هو وسيلة ضرورية من وسائل تحقيق أهدافه.

3- يعتمد الحزب في الإسلام على وسائل مشروعة في تنفيذه لمشاريعه وبرامجه السياسية، بخلاف الأحزاب الأخرى التي تسلك الوسائل الديمقراطية، حيث يخالف بعضها منهج الإسلام، انطلاقاً من أَنَّ الغاية تُبَرِّرْ الوَسِيلَة.

1- الحبل، مشير عمر خميس. 1424هـ - 2003م. *الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة: دراسة مقارنة*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه المقارن). الجامعة الإسلامية: غزة. ص: 63.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

إضافةً للفوارق الواضحة لمفهوم الحزب من المفهوم الإسلامي عنه في الفكر الوضعي، فإن للأحزاب السياسية (الغير إسلامية)، العديد من العيوب التي هي عبارة عن انتقادات موجهة لها، من أهمها التالي:

1- الأحزاب تعمل على تشتيت قوى الدولة:فبدل أن تلتف جميع القوى في الدولة تجاه هدف محدد لرقي الأمة تعمل الأحزاب على تقسيم الأمة ما بين مؤيد ومعارض، وفي هذا تبديد للجهود[1].

2- تعد الأحزاب السياسية وحدة تفتيت لوحدة للأمة:إذ تعمل الأحزاب على تقسيم الأمة لأطراف متعددة متناحرة فيما بينها، مما ينتج عنه تباعد المواطنين عن بعضهم البعض،وفصم عُرَى الوحدة والتكاثف،ومن ثم اضطراب الحكم[2].

3- تقديم مصالح الحزب على مصالح الأمة: فالهدف الذي من أجله وُجِدَ الحزب يتمثل في تحقيق المصلحة العامة، لكن كثيراً من الأحزاب تنحرف عن أداء ممارستها، وتسعى وراء مصالحها الخاصة[3].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- الطماوي، سليمان محمد. 1996. *السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي الإسلامي*. ط6. القاهرة: دار الفكر العربي. ص: 545.

2- الخطيب، نعمان. 1994. *الأحزاب السياسية ودورها في أنظمة الحكم المعاصر*. جامعة مؤتة: الكرك. ص: 53 .

3- المرجع السابق .ص: 51 .

4- الأحزاب السياسية وسائل تزييف وتشويه للرأي العام: وذلك من خلال الحملات الدعائية الإنتخابية، من أجل جذب الرأي العام واستمالته، فتعْمُد الأحزاب إلى قلب الحقائق، وتشويه صورة الطرف الأخر المنافس لها[1].

إلاَّ أن بعضاً من فقهاء علم السياسة والقانون، يرونَ أن هنالك مبررات لقيام الأحزاب إنطلاقاً من أنها: **مدارس للشعوب**، وأنها **همزة الصلة بين الحكام والمحكومين**، علاوةً على أنها تعد **عنصر الاستقرار في الحياة السياسية** بالمجتمع فهي تقوم بوضع خطط بعيدة المدى للأجيال المقبلة تمتد عبر عقود من الزمن[2]،كما تساهم الأحزاب في صناعة القيادات وصياغة الشخصيات ذوي الكفاءة والخبرة في الشؤون العامة، والمقدرة والبراعة في الاتصال مع الجماهير، وتسهم الأحزاب كذلك في تكوين نخبة ممتازة من أبناء الأمة قادرة على تسلم مقاليد الحكم والسلطة في البلاد[3].

وهنالك عدة وظائف وأغراض داخل المجتمع يهدف إليها نظام الأحزاب، فتعدد الأحزاب السياسية أمر ضروري، وأساسي لأداء وتحقيق عدة مهام سياسية، يصعب تحقيقها

1- الخطيب، نعمان. 1994. *الأحزاب السياسية ودورها في أنظمة الحكم المعاصر*. جامعة مؤتة: الكرك. ص: 54.

2- عبد الله، عبد الغني بسيوني. 1997. *النظم السياسية والقانون الدستوري*. الإسكندرية: منشأة المعارف. ص: 548.

3- المرجع السابق. ص: 547.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

في غياب تعدد الأحزاب، بخاصة في ظل ظروف العصر الحديث[1]، وأهم هذه الوظائف والأهداف:

1- إلقاء الضوء على المسائل الهامة التي تواجه المجتمع، والقيام بدور ترشيدي للمجتمع، لإعانته على تحديد موقفه من القضايا المطروحة عليه، وهي بذلك تأخذ بيد الجماهير نحو دمجها في العملية السياسية، وزيادة مشاركتها فيها.

2- تقوم الأحزاب عادةً بمراقبة أعمال الحكومة، ومحاسبتها بالوسائل القانونية المشروعة، وتسعى لنشر مساوئ سياسات الحكومة أمام الرأي العام، للضغط عليها كي تتراجع عنها، فتدرأ عن المجتمع كثيرا من المشكلات.

3- تنظيم وسائل التعبير، وتوفير منابر للأفراد والفئات، وضبطها حتى لا تتحول الاختلافات إلى صدمات عنيفة تودي بوحدة المجتمع.

4- اعداد القادة، وتقديم الأشخاص المرشحين للانتخابات، وكذلك البرامج السياسية التي تحدد سياسات الأحزاب والحكومات المقبلة، التي تشكلها هذه الأحزاب في حالة النجاح، وباختبار الأحزاب للمرشحين، يخرج المرشح من دائرة الحرج إذا قام بطلب الولاية وتزكية نفسه بذلك.

1- الحبل، مشير عمر خميس. 1424هـ - 2003م. *الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة: دراسة مقارنة*. (رسالة ماجستير منشورة في الفقه المقارن). الجامعة الإسلامية: غزة. ص: 62.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

5- يعد مبدأ تعدد الأحزاب السياسية من أهم الضمانات والوسائل الحديثة في خدمة أي نظام سياسي حر حسن النية، في حرصه على منع الاستبداد*وسعيه نحو تحقيق الديمقراطية الشرعية[1].

6- إيجاد مناخ صالح لنمو وازدهار نظريات متنوعة في السياسة والاجتماع، وتقوم بدورها بعرض هذه النظريات على المجتمع لمناقشتها، حتى يتم الوصول إلى ما هو أصلح، لاتخاذ المواقف الصحيحة حول الأوضاع الراهنة، والحوادث المستجدة، وكبح جماح السلطة وكفها عن ممارسة الاستبداد، وإعطاء الشعب فرصة اختيار البديل[2].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- عدوان، عاطف إبراهيم. 1417هـ - 1996م. *جذور علم السياسة*. ط1. غزة: دار البشير. ص: 86 – 88.

2- المباركفوري، صفي الرحمن. 1987. *رابطة الجامعات الإسلامية*. ط1. مطبعة المدينة. ص: 13 - 14.